



دار الآداب

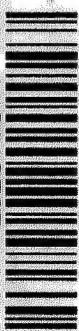
دوتيس



سبح والمرايا

«صياغة نهائية»

0112795



Bibliotheca Alexandrina



**المسرح والمرايا**



أخونيس

# المسرح والمرآيا

(١٩٦٥ - ١٩٦٧)

- صياغة نهائية -

منشورات دار الآداب - بيروت

جميع الحقوق محفوظة

طبعة جديدة

١٩٨٨

## جنازة امرأة

(مكان على ضفة نهر. قبر مغطى بسقف من القصب.  
حول القبر ثياب قطنية متعددة الألوان. جمهور نساء  
ورجال يجلسون بوقار حزين).

الرجل الأسود (يقف وسط الجمهور إلى جانب القبر، مشيراً إلى الميت):

ماتَ وما حَوْلَهُ

ضَفِيرَةٌ عَالِقَةٌ

بِالأَرْضِ، مَحْلُولَةٌ

وَالأَرْضُ رَمَانَةٌ

(صمت، إلى النساء)

مات، مَن العاشِقَةُ

تَغِيبُ فِي حُلْمِهِ

تَلْبَسُ أَجْفَانَهُ؟

(غير منظورة):

أَلَمُوتُ وَجْهَ شَاعِرٍ، أَوْ كَلِمَةٍ

الجوقة

مُنْذُورَةٌ لِلْأَرْضِ  
الْمَوْتُ حُضْنُ عَاشِقٍ ،  
وَتَمْتَمُهُ  
أَنْيَ فِي عُرُوقِهِ  
قَصِيدَةُ أَوْ نَبْضٍ .

(صمت . يتأمل الرجل الأسود الوجوه كأنه يدرسها . تنهض امرأة  
سمراء . تنهض معها امرأتان - سوداء وصفراء) .

المرأة السمراء    أنتظرُ  
واللَّيْلُ تَحْتَ جَسَدِي يَنْكَسِرُ ،  
وَالنَّخْلُ فِي جَدَائِلِي ،  
وَالْمَطَرُ  
عَيْنَانِ تَقْرَأَانِ لِي  
أَوَائِلَ الْفُصُولِ . . .

(صمت . تحلق في الوجوه)  
كَانَ وَرَقُ النَّخِيلِ  
يَمْتَدُّ كَالْغَطَاءِ  
كَانَ قَمِيصاً أَحْمَرَ السَّمَاءِ  
وَقُلْتُ : هَذَا زَمَنُ يَمِيلُ  
نَحْوِي . . . وَقُلْتُ . . .



الرجل الأسود (بسرعة ومهابة):  
اشتعلت يداهُ  
تَلَفَّتِي،  
رَأَيْتُ جَمْرَتَيْنِ  
أَصْغِي،  
فكَلَّ عَشْبَةً صَدَّاهُ  
سَمِعْتُ؟  
هَاتِي بِدَلِكِ اتَّبِعْنِي  
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْمَوْتِ، غَيْرِ حُلْمٍ،  
وَعَرَّيْ خَطَوَتَيْنِ.

(يتقدم نحوها، يمسكها بيدها ويتجه نحو قبة، برفقة المرأتين  
السوداء والصفراء. تدخل الثلاث تحت قبة سقيفة خاصة ويجلسن.  
يتركهن الرجل الأسود ويعود إلى مكانه. تأتي المرأة السوداء بإناء مليء  
بالماء. تغسل هي والمرأة الصفراء قدمي المرأة السمراء، بشكل  
طقوسي مهيب).

المرأة السمراء (بما يشبه الحلم):  
كوكَبٌ يَرْتَمِي عَلَيَّ،  
أَنَا الزَّهْرَةُ مَحْتَمَّةٌ،  
أَنَا النَّارُ، وَالْمَوْتُ عَشِيقُ

كشهُوتِي مَسْنُونُ  
وَنَفَتَّحْتُ، يَطْلُعُ الْمَوْتُ فِي نَهْدِي -  
وجهي سحابةُ  
ومراياي بُرُوقَ وَرْدِيَّةٍ وَعُصُونُ.

الجمهور

(بايقاع):

نَفَتَّحِي فِي كَلِمَةٍ  
بَادِئَةٍ كَالْفَتْحِ  
مَسْنُونَةٍ كَالرُّمَحِ.  
تَمُوجِي  
تَهْدِجِي كَالصَّوْتِ  
غَامِرَةٌ كَاللَّهِ أَوْ جَامِحَةٌ كَالْمَوْتِ . . .

(تنهض المرأة السمرء . ترافقها المراتان السوداء والصفراء نحو قبة .  
تدخل القبة . ينغلق بابها . تنتظرها المراتان على طرفي القبة . موسيقى  
موت وحب تستمر طول بقاء المرأة السوداء داخل القبة) .  
صوت المرأة السمرء (داخل القبة):

فِي كَلِمَةٍ  
أُشْعَلُ تَحْتَ سَقْفِهَا حَرِيقِي  
أَبْدَأُ تَحْتَ سَقْفِهَا طَرِيقِي  
مَسْنُونَةٍ كَالرُّمَحِ  
سَمِيَّتِهَا الْفَجِيعَةِ،

أَسْكُنُ  
حَتَّى تَنْزِفَ الطَّبِيعَةُ  
فِي جَسَدِي كَالْجُرْحِ،  
كَالْمَوْتِ نَسْلُ الزَّمَنِ الصَّدِيقِ  
(مردداً): الجمهور

كَالْمَوْتِ نَسْلُ الزَّمَنِ الصَّدِيقِ  
كَالْمَوْتِ نَسْلُ الزَّمَنِ الصَّدِيقِ .  
(داخل القبة): صوت آخر

أَلْجُرْحُ شَهِيَّةٌ  
حُبُّكَ مَفْتُوحٌ كَالْجُرْحِ  
(مردداً بإيقاع ترتيلي): الجمهور

أَلْحَبُّ صَبِيَّةٌ  
أَلْحَبُّ جَنَاحٌ  
جَاءَ الْيَوْمَ إِلَيْنَا  
دَخَلَ الْمَسْرَحَ غَنَى بَاحٍ  
كَانَ الْمَشْهُدُ غُصْنًا يُورِقُ . . .

غَنَى رَاحٌ  
فِي عَرَبَاتِ النَّارِ  
وَعَدًا يَأْتِينَا

والشَّمْسُ دَمٌ وَاللَّيْلُ جَرَارٌ

وغدأً يأتينا

كالوجه، فضاءً مفتوحاً

كالموت، سيتار.

( تتوقف الموسيقى )

الصوت الآخر (داخل القبة):

جرحكِ ترتيلةً

للمدن المحروقة الخالية

ذبيحةً عاليةً . . .

(تخرج المرأة السَّمرَاء بهيئة شفافة يمتزج فيها الحزن بالفرح ترافقها  
المرأتان السَّوداء والصفراء . وفي هذه اللَّحظة يبدو زورق خشبي على  
ضفة النهر، موضوع فوق صقالات خشبية تحت قبة . في الزورق سرير  
تغطيه عجوز بغطاء كثير الألوان . العجوز امرأة مهيبة ، ضخمة عابسة ،  
تقف عند رأس السرير .

يبدو في مكان آخر أشخاص يحفرون في الأرض ، ثم يخرجون جسماً  
ملفوفاً بقمماش أسود ، وجرة ومزماراً قصيباً .

يحمل الجسم إلى الزورق تحت القبة ، بعد أن يرفع عنه الغطاء  
الأسود ، فيظهر لابساً سروالاً أسود وخفّاً أحمر وقلنسوة مقصّبة . يوضع  
فوق السرير ويُسنَد بالوسائد .

هاتوا كُتُباً . . . أقلاماً

(يجيء الحضور بكتب وأقلام تلقى في الزورق)

العجوز هاتوا وَرَقًا . . .

(يحضره شخص ويرميه قرب الميت في الزورق).

العجوز: عُشْبًا وَيَمَامَةً . . .

(يجيء بعض الحضور ييمامة يذبحها فوق الميت ويلقيها بين يديه ،  
ثم يرمي آخر غصن خشخاش).

العجوز: وَلَيَبْقَ الْحَبُّ عَلَامَةً .

(ترسم على جبين المرأة السمراء علامة الحب . يحمل المرأة السمراء  
أربعة رجال يرفعونها على راجاتهم وينزلونها ثلاث مرات . ثم يرفعونها  
إلى أعلى ما يمكنهم . تبدو كأنها ترى رؤيا) .  
المرأة السمراء (كأنها ترى رؤيا تترتل):

أَقْفَاصٌ تَعْلُو

تَعْبُرُ فِي غَابَاتِ الصَّوْتِ

فِي الْأَفْكَارِ وَفِي الْأَشْيَاءِ

الصَّخْرَةُ مَاءٌ

وَالْأَعْضَاءُ شِتَاءٌ بَارِدٌ

وَالْحَبُّ نَوَارِسُ لَيْلِيَّةٍ

تَتَنَاسَلُ فِي أَعْشَاشِ الْمَوْتِ

وَلِيَّاسٌ وَاحِدٌ .

(ينزلونها . تخلع سوارين من معصمها الأيسر)

المرأة السمراء (تعطي السوارين إلى العجوز):  
عطية من الجسد  
تَلْتَفُ كالسَّوارِ حَوْلَ الرُّوحِ .  
العجوز (تنحني وهي تتناولهما):

.....

(تنزع المرأة السمراء خلخالين)  
المرأة السمراء (تعطي خلخالاً للمرأة السوداء):  
رسالة  
تصير في عينيك أحلاماً  
ترميك في متاه  
كالقلب  
لن تضيعي فيه ، ولن تعودي .  
المرأة السوداء (تنحني وهي تتناوله):

.....

المرأة السمراء (تقدم الخلخال الثاني للمرأة الصفراء):  
وَطَنٌ كَالْحَتَمِ  
يسكنُ حَوْلَ الفُخْدِ ،  
سجّينَ الحُلُمِ  
سَجَّانَ اليَقْظَةِ .  
المرأة الصفراء (تنحني وهي تتناوله):

(يحمل الرجال الأربعة المرأة السمراء ويضعونها في الزورق، بعد أن يقبلها كل منهم. تناولها العجوز كأساً من النبيذ تشربها. تناولها كأساً ثانية تشربها. تأمرها بالدخول تحت القبة في الزورق حيث يتمدد العاشق الميت. يبتعد الجميع. تأخذ العجوز خشبة تشعلها وترميها في الزورق. يرمي الآخرون فوقها الحطب والزهر والخبز. الزورق يشتعل وهو يبتعد جارياً على صفحة النهر. الجميع يشدون).

الجوقة

(جميع الحضور):

دَخَلْتُ فِي مَقَامِ الْحَرِيقِ

أَلْيَالِي شَمُوعٌ

وَمَزَامِيرُهَا طَرِيقٌ.

صَارَ وَجْهُ الْأَثِيرِ

وَطَنَ الْعَاشِقِينَ

سَيَّجَتْهُ الْعَيُونُ

بِالْصَدَى، بِالسَّكُونِ

بِضِفَافِ الْيَدَيْنِ

وَرَمَتْ كَوَكَبَيْنِ

بَيْنَ رَأْسَيْهِمَا وَالسَّرِيرِ.

(فيما يختفي الزورق، تنقسم الجوقة إلى قسمين رجال ونساء، ثم يترك كل قسم المسرح من جهة معينة، ويرددون جميعاً بصوت هادئ إيقاعي).

أَلْمُوتُ جَنَاحٌ

دخل المسرح - غنى راح

مبحوح الثَّبرَة، مجروحا

وسياتينا

في عَرَبَاتِ

النَّارِ

كالْحَبِّ،

سيوارِ

كالشَّمْسِ،

فضاءً مفتوحاً . . .

(غير منظورة، وبعد أن ينطفىء ضوء المسرح):

الجوقة

تبدأ من جنازة امرأة

تصعدُ كالقربان في عجامر العيون

مدينةُ أَحْنُ من مدفأة

تبدأ من جنازة امرأة

أيامُ قاسيون .

أبدأ من جنازة امرأة -

صرختي الأولى حينُ كونِ

تطاولتُ،

وانحفرت كالنَّهْزِ



رأيتها تجري، -  
رأيت صوتي  
ينزل من ينبوعه  
نحيلاً،  
مهاجراً،  
يقرع باب الدهر...

\* \*

## كلمات

كَلِمَاتُ لَهَا أَرْجُلُ وَبُيُوتُ  
كَلِمَاتُ تَمُوتُ  
وَهِيَ حُبْلَى،  
... سَكَنَّا  
وَطَنًا رَاوِدَتْهُ، شَرَدْنَا  
فِي تَقَاطِيعِهِ  
ارْتَسَمْنَا  
حَوْلَ آفَاقِهِ غُصُونًا  
وَارْتَسَمْنَا رُؤْيً وَعُيُونًا...

كَلِمَاتُ رَمَتْ قَشْرَهَا، رَافَقْتَنِي  
فِي طَقُوسِ الْمَدِينَةِ  
وَدَخَلْنَا مَقَامَاتِهَا احْتَرَقْنَا  
حُلْمًا -  
هَاهُنَا دَفَنًا

جُئََّهَ العالم اقتسمنا  
إرثَه واستعدنا  
لهبَ الفطرة الدفينة .

كلماتُ تسافر في صرخة الطفولة  
كم حملنا خُطانا مزجنا البطولة  
بالجنون ، احتمينا  
ببراكينه . . .

كَلِمَاتُ  
حضنت صمتها وماتت  
. . . وحرقتنا مناديلنا وقرأنا  
سورة ،  
وذبحنا

حلماً كالخروف  
بين إيقاعها والحروف .  
. . . وامتزجنا بها ورقدنا  
فوقها

ونَهَضنا  
وبَدَأنا ، وعدنا  
والمدى جامع ،

كلمات،  
كلمات هي الثورة -  
... اجترخنا  
كل ما يهدم المدينة أو يخلق المدينة  
كلمات الحنين وأقواسه الشريده  
كلمات تهاجر بين الغصون  
كلمات تموت مع الحلم في آخر العيون  
كلمات الحدود البعيده  
كلمات الأفول  
والصعود ومعراج،  
الحلول  
في الجذور وغاباتها،  
كلمات.

شهدت جثة الحسين  
وهي تبكي وتجري مع الرافدين  
مُت في حضنها وعشت  
وطمرت سرايينها ونشت  
كلمات المَجِيء -  
سفر معتم خطوات تُضيء

في الزَّمانِ المهرولِ في وَجْهِهِ البَطِيءُ  
كلماتُ سفينته  
في البحارِ الدَّفِينَةِ  
بينَ نارِ الغموضِ ومزمارِهِ، الدَّفِينَةُ  
تحت رقصِ الجذور  
الدَّفِينَةُ  
حيثُ تمضي وتمضي وتمضي  
مَطَرًا هَازِيًا  
وتمضي  
لَهَبًا هَازِيًا  
وتمضي . . . .

## لون الماء

لونك لون الماء  
يا جسد الكلام  
حين يكون الماء  
خميرة أو صاعقاً أو ناراً -

واشتعل الماء وصار صاعقاً وصار  
خميرة وناراً،  
نيلوفرًا  
يسأل عن وسادتي  
ينام . . .  
يا نهر الكلام  
سافر معي يومين ، جمعتين في خميرة الأسرار  
نلتقط البحار ، أو نستكشف المحار  
نمطر ياقوتاً وأبنوساً

نعرفُ أَنَّ السَّحَرُ  
جَنِيَّةٌ سَوْدَاءُ  
ترفضُ أن تعشقَ غيرَ البَحْرِ.  
سافرَ معي واطهرُ هنا... وغِبْ هنا...  
واسألُ معي يا نَهَرَ الكَلَامِ  
عن صَدَفٍ يموتُ كي يَصِيرَ  
سحابةً حمراءَ  
تُمَطِّرُ،  
عن جزيرةٍ  
تَسِيرُ أو تَطِيرُ،  
واسألُ معي يا نَهَرَ الكَلَامِ  
عن نَجْمَةٍ أُسِيرَ  
بين شِبَالِكِ المَاءِ  
تحملُ تَحْتَ ثديها  
أيامِي الأَخِيرَةَ.  
واسألُ معي يا نَهَرَ الكَلَامِ  
عن حَجَرٍ يَنْبُعُ مِنْهُ المَاءُ  
عن موجَةٍ يُولَدُ مِنْهَا الصَّخْرُ  
عن حيوانِ المِسْكِ، عن يَمَامَةٍ من نورٍ

واهبطْ معي في شَبَكِ الدَّيجُورِ  
في القاعِ ،  
حيثُ الزَّمنُ المكسورُ  
وَلَيْكِنِ الكلامُ  
قصيدةٌ تلبسُ وجهَ البحرِ .



## الزمان المكسور



## امرأة ورجل

- من أنت؟
- بهلولٌ بلا مكانٍ
- من حجر الفضاء من سلالة الشيطان
- من أنت؟
- هل سافرت في جسدي؟
- مراراً؟
- ما رأيت؟
- رأيت موتي
- ألبست وجهي؟
- ورأيت شمسي مثل ظلٍّ
- ورأيت ظلي مثل شمسٍ
- ونزلت تحت سريري، وكشفتني؟
- أكشفتني؟
- كاشفتني؟ أيقنت؟

- لا

- أَشْفَيْتِ بِي ، وَبَقِيَتْ خَائِفَةٌ؟

- بَلَى

- أَعْرِفْتِنِي؟

- أَعْرِفْتِنِي؟

## أغنية الرجل

جانبيًا ،  
رأيتُ وجهك مرسومًا على جذع نخلة  
ورأيتُ الشمسَ سوداءَ في يديك ،  
فأسرجتُ حنيني إلى النخيل ، حملتُ الليلَ في سلّةٍ ، حملتُ  
المدينةَ  
وتناثرتُ حول عينيك ، أستطيعُ وجهي -  
رأيتُ وجهك جوعانًا كطفلٍ ،  
حوطته بالتعاويد  
وفتتُ فوقه ياسمينه .

## أغنية للمرأة

جانبياً  
رأيت وجهك شيخاً  
سرقته الأيام والأحزان  
جاءني حاضناً قواريره الخضراء يستعجل العشاء الأخير  
كلّ قارورة خليج وأعراس خليج ومركب  
تغرق الأيام فيه وتغرق الشيطان  
حيث تستكشف النوارس ماضيها ويستشعر الغد الربان  
جاءني جائعاً، مددت له حبي  
رغيفاً ودورقاً وسريراً  
وفتحت الأبواب للريح والشمس، وشاركته العشاء الأخير.

## المجوس

كان في وجهك المسافر، في وجهي  
نَجْمٌ، وكان ليلٌ يجوسُ  
وتَلَاقتُ يدانا  
تَلَاقتُ خُطانا  
وتَلَاقتُ رؤانا،  
وهَبَطْنَا، رأينا وغبنا  
وظهرنا وغبنا  
وأتى بعدنا المَجُوسُ.

## وجه امرأة

سكنتُ وجه امرأة  
تسكن في موجة  
يقذفها المدُّ إلى شاطئ  
ضيّع في أصدافه مرفأه .  
سكنتُ وجه امرأة  
تُميتني ، تُحبُّ أن تكون  
في دمي المبحر حتى آخر الجنون  
منارة مطفأه .



## الطريق

الطَّرِيقُ امْرَأَه  
وَضَعْتُ رَاحَةَ الْمَسَافِرِ فِي رَاحَةِ الْعَشِيقِ  
مَلَأْتُ رَاحَةَ الْعَشِيقِ  
بِالْحَنِينِ وَأَصْدَافِهِ ،  
امْرَأَه .

حُلُمٌ صَبَّرَتْهُ امْرَأَه  
مَرْكَباً ضَيْقاً كَالْجَنَاحِ  
لَا بَساً وَرْدَةَ الرِّيحِ  
نَاسِياً مَرْفَأَهُ .

## مرآة لحظة ما

صاعد؟ كيف؟  
لا جبالك من نارٍ  
ولا في ثلوجها أدراجُ  
لك في وجهي الكتّوم  
رسالاتُ حنينٍ  
وفي دمي أبراجُ  
كلما قلتُ: أصعدُ  
انكسرَ الليلُ  
وضاقَ الحنينُ والمعراجُ.

## مرآة الكرسي

كُرْسِيكَ الشَّائِخُ كَانَ طِفْلاً  
أَعْطَيْتَهُ يَدَيَّ  
عِقْدَيْنِ دَمِيتَيْنِ - كَمْ تَدُلُّ  
وَجَاعَ، وَاسْتَرْسَلَ حَوْلَ صَدْرِي  
كَمْ طَافَ وَاسْتَرَاخَ فِي عَيْنِي.  
لَوْ يُنْسَخُ الْكُرْسِيُّ، لَوْ يَصِيرُ  
مُسَافِراً، أَوْ نَظْرَةً خَجُولَهُ  
لَقُلْتُ فِي أَهْدَابِكَ الْخَجُولَهُ  
أَلْمَحْ كُلَّ لَيْلٍ  
طِفُولَةَ الْكُرْسِيِّ، كُلَّ لَيْلٍ  
سَهْرَتُهُ،  
وَأَلْمَحْ الطُّفُولَهُ.

## مرآة للوقت

أدعوك، أيامي بلا حارسٍ  
وهذه المسافة المقفرة  
وليمةً للحلم، عيدٌ من الحنين من أشجاره المثمره  
أدعوك أن تحضره.  
ساريةً للأحزان مرفوعةً  
يا ليتَ لو ترتاحُ، لو تنحني  
كالغصن في رياحها المضمرة  
وها هو الاپريق مرثيةً  
أو زهرةً،  
والشاي نافورةً  
أدعوك أن تصغي، هذا الصدى  
يجيشنا بالعُشبة المُسكره.  
... وغرب الوقت، الحنينُ ارتدى  
ثيابنا

صارَ البخورَ الذي

يلفُّ أهدابنا

يخرجُ من قبةٍ

قديمةٍ

تخرجُ من جوهرة.

## خدمة القصب

(وجوه وأقنعة . قاعة بمداخل كثيرة من طراز قديم) .

- ١ -

وجه ١ : أسمع أن الناس غاضبون  
تَتَّحِدُ الصَّلَاةُ فِي قُلُوبِهِمُ وَالنَّارُ . . .

قناع ٢ (باستهزاء) :

غاضبون؟

سرعانَ ما يَرْضَوْنَ ، يَهْدَأُونَ -

السَّيْفُ وَالذَّهَبُ

يُطْفِئَانِ نَارَهُمْ . . .

وجه ١ : تشبُّ من جديدٍ

قناع ٢ (بحماسة) :

يشبُّ من جديدٍ

يَلْفَهُمْ كَحَزْمَةِ الْقَصَبِ

السَّيْفُ وَالذَّهَبُ ،

وَلَهَبُ الْجَرِيمَةِ

(بصمت . يتابع كمن يحلم)  
فترتخي القلوبُ  
والركبُ  
تصيرُ مثلَ خِرْقَةٍ...  
ويُطَبِّخُ الثَّوَارُ كالْفَرَاخِ فِي وَلِيمَةٍ...  
(يضحك)

وجه ١ : تحتقرونَ الناسَ ، تزرِبونهم  
للذَّبِيحِ ،  
تأكلونهم...

قناع ٢ : (مستغرباً):  
حنجرةٌ جديدةٌ  
شَحَذَتْهَا بِشْفَرَةِ الثَّوَارِ؟  
(بلهجة الناصح)

خَلَّ الشَّعْبَ يَا صَدِيقِي ،  
فهو ، كما اختبرتُ ، مثلُ وُحْشٍ  
يَظَلُّ فِي غَضَبٍ  
إِلَّا إِذَا أَطْعَمْتَهُ لِلسَّيْفِ  
أَوْ لِقَمَّتِهِ الذَّهَبُ .  
(يخرج)

(أقنعة منحنية حتى الأرض . في إحدى الزوايا تقف امرأة كالتمثال،  
تحضن جمجمة) .

قناع ١ : (يبدو كالبرميل لا رأس له، يخاطب وجه ١ مشيراً إلى الأقنعة  
المنحنية) :

وجه ١      الشَّعْبُ، تعويدُكَ الدَّائمة  
رَأَيْتَ؟ (يشير باحتقار إلى الأقنعة المنحنية)

لا،

صورتُكَ الغاشمة

عرضتها .

الشَّعْبُ ليس قشاً

تحنيه، أو قناعاً . . .

قناع ١ : (ناتراً) :

خذوه :

خلّوا رأسه هدية

كأساً من العظام،

آدمية .

(يخرج بعض الأقنعة وهم يجرون وجه ١)

(تلخل أقنعة جديدة) .



- قناع ٢ (إلى قناع ١ ، مقدماً له جمجمة بشكل كأس):  
أولى هدايايَ إلى مولايَ،  
والحضورُ يشهدونَ . . (مشيراً إلى الأفعى)  
أخبروه،  
تقدّموا . . .
- قناع ٣ (يتقلد جمجمة . يتقدم، يقف وقفة عسكرية أمام قناع ١):  
أصواتهم  
تمتدُّ تحت خطونا  
كدرج . . .
- قناع ٤ (يتقلد ساعداً . يتقدم بخطوات عسكرية إلى موازة قناع ٣):  
أكتافهم  
ليّنة،  
حمراءُ كالوسائلِ
- قناع ٥ (يتقلد فخذاً وساقاً . الحركة ذاتها):  
أجسادهم  
منقوخةٌ كجثةِ الصحراءِ،  
والصّحراءُ كالموائدِ

قناع ١

(بصوت أجش ونبرة مجنونة):

الرّمح، ها... ها...

في القلب والضّمير

في سرّة الجبلى وعين الطفل، في الشّهيق والزّفير

والشّجر القريب والكواكب البعيدة

ألقتل، ها... ها... بذاري الوحيد،

ها... ها...

أرضي الوحيد.

(الجميع يضحكون بجنون)

## أربع أغنيات لحزمة القطب



## ١ . البائع

يَرسُمُ الجُوعَ على دفتري  
أنجماً أو طُرُقاً  
ويَغطِّي الورق  
بمناديلَ من الحُلُم -  
لَمَحْنَا

شمسَ حُبٍّ حَرَّكَتْ أَهْدَابَهَا  
ورأينا شَفَقًا .

## ٢ . النوم والنهوض من النوم

يصنع في نومه  
نموذجاً لثورة جامعة  
تعانق المستقبل الطالعا،  
ينهضُ من نومه -  
تصير أيامه  
ببغاء...  
تبكي الليلة البارحة  
وحلمه الضائعا.

### ٣ . الشعب

تجمّع الشجرُ  
أثقله الصراخُ والحنينُ كالشمر  
وهبّ في مسيره  
حول ضفاف النهر. كان رعدُ  
يرجّه كأنه الشررُ -  
وصُعق الشجرُ  
حزناً على طيوره الأسيرة  
في الجانب الآخر من خاصرة النهر.

## ٤ - الغضب

غضب الفرات -  
في ضيقته حناجرٌ  
أبراجٌ زلزلةٌ، ورعدٌ،  
والموجُ أحصنةٌ...  
رأيتُ الفجرَ مقصوصَ النّوابةِ  
والماءَ مسنونَ الهديرِ يسيلُ محتضناً حِرابه.  
غضب الفراتُ لا النارُ تطفئ ذلك الغضبَ الجريحَ ولا الصّلاةُ.



## تيمور ومهيار

(ردفة في القصر، تيمور وحوله حراس مسلحون)

- ١ -

تيمور (بغضب):

هاتوه هاتوا حمم البركان، هاتوا نهم الضباع  
لُفَّوه بالجرذان والأفاعي  
هاتوه واسحقوه...

(تنصب خشبة تغطيها أمشاط الحديد. يُمدد عليها مهيار. يربط، يجلد حتى يتقطع لحمه. يسمّر رأسه بمسامير حُميت في النار. يؤخذ إلى السجن. يبط على وجهه. توضع أسطوانة من الحجر على ظهره. تقيد بالحديد يداه ورجلاه).

- ٢ -

(تيمور، مهيار، حراس مسلحون)

تيمور ألم تكن في السجن؟ كيف جئت؟  
انسللت من شقوقه؟ هدمته؟ أخرجك السجان؟

مهيّار      أخرجني سلطان  
كالشمس لا يموت،  
كالإنسان

(يُمَلَد بين خشبتين: يقطع رأسه. يقطع جسده إلى أجزاء صغيرة تُرمى  
في جبٍّ للأسود. الأسود لا تأكلها، بل تنحني وتبتعد عنها).

- ٣ -

(جمهور، مهيّار، تيمور، الساحر)

أصوات      شبيهه. كأنه مهيّار  
يعود، كيف عاد  
يا سيّد الأسرار  
يا ساحر البلاد كيف عاد؟  
تيمور:      شبيهه؟ مهيّار...  
أموت، كلّ خلجة طاعون  
أموت... كلّ عضو يفرّ من ثيابي،  
يلدور كالمجنون  
مهيّار؟ عاد، أين... أين ساحر البلاد  
ماذا ترى؟ رأيت؟ كيف؟  
الساحر:      ... ثوراً

أريد ثوراً أسودَ الجبين والقرنين،

تحت فكّه السّفليّ شامتان،

لكي أرى الآتي كما يراني...

تيمور: أخرجّه من قميصه...

الساحر: أمسخه!

تيمور: جرادة، أو نملة عرجاء، أو حِرباء...

الساحر: مرّلي بكأس ماء...

(يجيء الثور. ينفث في إحدى أذنيه فتصير اثنتين. ينفث في الثانية  
فيصير الثور ثورين. يأخذ بذراً يذرّه ويحرثه. نبت الزرع وأينع وحُصد.  
دُرّي وطحن وعجن وخبز وأكل في ساعة واحدة. أخذ كأس الماء ونفث  
فيها. أعطاها إلى مهيار وأمره أن يشربها. يشربها مهيار كلها).

الساحر (إلى مهيار):

ماذا تُحسّ الآن؟

مهيار: كلّ جزء

في جسدي ينبوع

(يبتسم. صمت.)

واشتدّت الحياة في عروقي...

الساحر (إلى تيمور بيأس):

كأنّه من طينة

مجهولة الفروع والأصول - أنت نار

في الأرض، وهو نارٌ في الأرض والسماء،  
وهو النَّفْسُ المَزْرُوعُ  
في رثّة الحياة...

تيمور (بغضب الوحش):

إنّ سيفي  
أحدُ

إنّ فتكي

أشدّ... لن ينهضَ بعد الآنُ-

أنا هو الجحيمُ والديان.

(يصنع من النحاس تمثلاً منجواً بشكل نور يحشوه نطقاً ورصاصاً  
وكبريتاً وزرنيخاً. يدخل مهيار في جوفه. يشعل فيه النار. يلتهب وينصهر  
ويتحول كل شيء إلى رماد.

تهب ريح تملأ الفضاء سحاباً أسود ورعوداً وصواعق وأعاصير. يسود ما  
بين السماء والأرض، ويمكث الناس أياماً حائرين لا يميزون بين الليل  
والنهار. يتحرك الرماد ويخرج منه مهيار).

الراوي: وقيل صارت تُمطر السماءُ

ناراً على المدينة. استُئِلَّتْ

فأنسحقت واحترقت،

وبقيت زماناً

يخرجُ من أنقاضها دخانٌ

يَشْمُهُ النَّاسُ فَيَسْقُطُونَ  
موتى،  
ومهيأَ دَمٌ وماءٌ  
والأَرْضُ مُثْلُ وَجْهِهِ،  
تبدأ، مُثْلَ صَوْتِهِ ..  
وَالنَّاسُ يُولَدُونَ...



## أربع أغنيات لتيغور





## ١ . امرأة الشرع

فَاجِيءُ  
جَسَدَ الْعِذْرَاءِ  
جَسَدَ الْحَبْلِ . . .  
فَاجِيءُ وَاقْتُلْ  
لَا تَتْرِكْ شَيْخاً أَوْ طِفْلاً . . .  
هَذَا شَرْعِي .

## ٢ . الغزو

يَحْتَرِقُ الْعُصْفُورُ  
وَالْخَيْلُ وَالنِّسَاءُ وَالْأَرْضُ صَفَهُ  
تُقَسِّمُ كَالْأَرْغَفَةِ  
بَيْنَ يَدَيِ تَيْمُورٍ.

### ٣ - هم

جَاؤُوا  
دَخَلُوا الْبَيْتَ عِرَاءَ  
حَفَرُوا  
طَمَرُوا الْأَطْفَالَ، وَعَادُوا.....

## ٤ - السيل

مهيار غنى حنا، برأ صلي ودان  
بارك وجه الجنون،  
ذوب في صوته  
جرح العصور، اشتهى  
لصوته أن يكون  
سيلاً، وكالسيل كان...

## مرايا وأحلام حول الزمان المكسور



## ١ - الماضي

كم حملتُ الحجرَ  
من تلال سمرقندَ، صُغْتُ الحجرَ  
حربةً،  
أَوْ قِلَادَه  
لعشيقاتي الجواري،  
كم نسجتُ البشْرَ  
خيمةً،  
أَوْ وِسَادَه... .

## ٢ . الحاضر

زَمَنْ يُجْرِي، زَمَنْ يَهْرَبُ مِثْلَ الْمَاءِ  
وَأَنَا أَجْرِي...  
كُلُّ نَهَارٍ سَكِينٌ فِي أَحْشَائِي  
وَاللَّيْلُ حَرَابٌ

أَشْعُرُ أَنَّ الشَّمْسَ  
تُعْرَى  
تَرْقُدُ فَوْقَ سَرِيرِي مِثْلَ امْرَأَةٍ،  
حِينَ يُقَالُ: «قَطَعْنَا رَأْسَ»...



### ٣ . هَرَاة طَافِيَةٍ

سَنِبَلَةٌ سَنِبَلَةٌ

لَا تَتْرَكُوا سَنِبَلَهُ

فَإِنَّ هَذَا الْحَصَادُ

فَرْدُوسُنَا الْمُسْتَعَادُ

بِلَادُنَا الْمَقْبَلَهُ

وَمَزَقُوا الْقُلُوبَ قَبْلَ الصَّدُورِ

وَأَقْتَلَعُوا الْجُذُورَ

وَغَيَّرُوا هَذَا التُّرَابَ الَّذِي

أَقْلَهُمُ ،

وَأَمْحُوا زَمَانًا رَوَى تَارِيخَهُمُ

وَأَمْحُوا سَمَاءَ حَنَتْ عَلَيْهِمُ . . .

سَنِبَلَةٌ سَنِبَلَةٌ

كَيْ تَرْجِعَ الْأَرْضُ إِلَى عَهْدِهَا . . .

سَنِبَلَةٌ سَنِبَلَةٌ . . .

## ٤ . الرصاصة

رصاصَةٌ تدورُ  
مدهونةٌ بألق الحضاره  
تثقبُ وجهَ الفجر - كلَّ لحظةٍ  
يُعاد هذا المشهدُ -  
الحُضورُ  
يُجدّدون جرعةَ الحياة، يَنشطون، لا سِتاره  
لا ظِلٌّ، لا استراحةٌ :  
ألمشهدُ التَّاريخُ،  
والمُمثِّلُ الحضاره .

## ٥ - مرآة السياف

- هل قلت إنك شاعر؟  
من أين جئت؟ أحسن جلدك ناعماً..  
سيافُ تسمعني؟  
وهبتك رأسه،  
خذهُ، وهاتِ الجلدَ واحذَرُ أنْ يُمسَّ الجلدُ  
أشهى لي وأغلى...  
سيكونُ جلدك لي بساطاً  
سيكونُ أجملَ مخملٍ،

هل قلت إنك شاعر؟

## ٦ . الشاعران

بين الصدى والصوت شاعرانُ  
أولُ الناطق مثلُ قمرٍ  
مُكسّرٍ،  
والآخر الصامت مثلُ طفلٍ  
ينامُ كلَّ ليلةٍ  
بين يدي بركانٍ.

## ٧ - دمشق

دمشق  
قافلة النجوم في سجادة خضراء  
ثديان من جمرٍ وبرتقال  
دمشق  
أالجسد العاشق في سريره  
كالقوس ،  
والهلال  
يَفْتَحُ باسم الماء  
قارورة الأيام ، كل يوم  
يدورُ في مدارك الليالي  
يسقط في بركانك الشهي  
ذبيحة . . .  
والشجر النائم حول غرفتي

ووجهي  
ثَّفَاحَةٌ  
وحيي  
وسادة، جزيره...  
لو أنها تجيء  
لو أنها تجيء  
دمشق  
يا ثمر الليل يا سريرة.

## ٨ - مرآة لملك الدريم

تَقَلَّمِي ، من أَنْتِ يا قَبِيلَةَ  
لا ذَهَباً حَمَلْتِ ، لا دِمَقْساً  
لِلْمَلِكِ الْعَظِيمِ  
لا خَيْلَ لا لُبَاناً لا حَجَراً كَرِيمَ  
ولا أرى جَدِيلَهُ  
لِمَنْ ، لماذا هذه المَسِيرَةُ ؟  
كونِي ، إِذَنْ ، من خَدَمِ الأَمِيرِ  
أو مِنْ خَدَمِ الأَمِيرِ .

## ٩ . بيروت

- ١ -

يَسْكُنُ فِي بَيْرُوتَ  
وَالْأَرْضُ فِي عَيْنِهِ أَبْجَدِيَّةُ  
وَحَمْسُ جَامِعَاتُ  
وَالصَّخْرُ تَفَاحٌ وَأَغْنِيَاتُ .  
لَكِنَّهُ يَمُوتُ -  
يَمُوتُ فِي تَمَتُّمِهِ  
كَأَنَّهُ يَسْكُنُ فِي جَمْعِهِ  
بِغَيْرِ أَيَّامٍ وَلَا هَوِيَّةٍ .

- ٢ -

كَانَتْ الْمَائِدَةُ  
عُرْفًا ،  
يَتَصَايَحُ فِيهَا الضِّيُوفُ



كان لحمُ الخروفِ  
جَبَلًا، والشَّرَابُ  
ساحراً حوله يطوفُ  
وعلى الشَّرْفَةِ الذهبيَّةِ في قُبَّةِ المائدة  
كانَ وجهٌ يبيدُ مع الأوجهِ البائدهِ -  
كانَ وجهُ الكِتَابِ.

- ٣ -

عائشةُ مرَّتْ، فكلُّ ليلٍ  
تَخْتُ، وكلَّ ناقةٍ مصباحُ  
للجسدِ الضَّرِيرِ أو للزَّمنِ الضَّرِيرِ  
عائشةُ تَجْتَاحُ - لو أنَّ الشَّهْوَةَ اجْتِاحُ  
راقصَها الأميرُ وهو لابسُ قُبْعَةِ الشَّحَاذِ  
أو راقصَها الشَّحَاذُ وهو لابسُ قُبْعَةِ الأميرِ  
سامرها غنى لها حتَّى غفا الكلامُ  
لفَّ عليها زندهَ وغطَّى  
سرُّتها، ونَامَ . . .

## ١٠ - مِرَاة لَزِيدِ بْنِ عَلِيٍّ

أَسْتَشْرِفُ الْمَكْتُوبُ  
فِي صَفْحَةِ الْخِلَافَةِ  
مَرْسُومَةً كَالْقَبْرِ تَحْتَ رَاحَتِي هِشَامُ :  
رَأْسُكَ بَيْنَ النَّصْلِ وَالرِّصَافَةِ  
مُهَاجِرُ  
وَالْجَسَدُ الْمَصْلُوبُ  
يُنْثَرُ مِثْلَ الصَّوْتِ  
فِي نَهْرٍ . . .  
- لا ، لَنْ يَحُولَ سَيْفُ  
لا ، لَنْ يَحُولَ مَوْتُ . . .  
لِي وَطَنُ فِي الْمَاءِ - غَيْرُ الْمَوْتِ  
يَجْهَلُ ،  
غَيْرُ الصَّلْبِ وَالْحَرِيقِ  
يَجْهَلُ أَنْ يُقَرَّبَ الْمَسَافَةُ

ما بيننا ،  
ويفتح الطريق .

واخترق النصلُ جبينَ زيدٍ ،  
ونكّست رايأته . .

- ارفعوه

عَطَّوه ، خَبَّثُوهُ

عن أعين الأعداء

هنا ، هنا . . .

لَقَّوه بالأصوات بالوجوه ،

بالعُشبِ خَبَّأُوهُ

في الماء ، في ساقية خضراء .

وما همُ الأعداءُ

يأتون . . .

بعدَ لحظةٍ رأوه معلقاً

يُحَرِّقُ فوقَ الماءِ

يُثَرِّقُ فوقَ الماءِ -

الجسمُ يَصَّاعِدُ في رمادٍ

مُهَاجِرٍ كَالْغَيْمَةِ الْخَفِيفَةِ  
وَالرَّاسُ وَخِي نَارُ  
عَنْ زَمَنِ الْغُيُوبِ وَالثُّورَةِ وَالثَّوَارِ  
يَقْرَؤُهُ السِّيفُ لِلْخَلِيفَةِ . . .

## ١١ - امرأة رجل يروي

لو أنني وُلدتُ قهرمانُ  
في القَصْرِ،  
أو مزيّناً لزوجة الخاقانِ  
لكنْتُ أقواساً على الدّروبِ  
لكنْتُ قوّاماً على الرّؤوسِ  
أصنعُ منها النُّقْلَ والندامى  
والخمرَ والكؤوسُ  
أصنعُ منها نكهةَ الشّعوبِ.

## ١٢ . هراة آزياب

كلّ شيء يغني كزرياب -  
سيفُ الإمارة  
وحذاء الأميرة، والنقط - (عصرُ الأغاني  
عربيُّ)،  
وتعويذة الجحيم  
والصلّة، ومقصورة الحريم  
ودمٌ يُسندِل الستارة.

### ١٣ . امرأة الفقير والسلطان

- ( - ماذا؟ ألا تخاف؟  
- لا قَصَبٌ عندي ، ولا خِرَافٌ  
ومرّة ، غَرَزْتُ في مكانٍ  
أصابني ، فَأَنْفَتَحَ المكانُ  
وبانَ شِقُّ خَرَجِ الدُّخَانِ  
مِنْ فَمِهِ ، وجاءَ ثعبانٌ كبيرٌ أَصْفَرُ  
أَخَذْتُهُ ، فَرَكَّتُهُ  
وعندما حَدَقْتُ في رِماذِهِ ، تَلَّاشَى . . .  
- وَحَرَسُ السَّلْطَانُ؟  
- طَارَدَنِي ، فَجاءَ فَرَسَانُهُ  
وَكُنْتُ في خَلَوَتِي أَنَامُ ، فَأَنْبَهَتْ  
رَأَيْتُ قُدَّامِي  
نَعَامَةً ، أَوْ نَاقَةً  
نَسِيتُ ، لَكِنِّي

ركبُها،  
فأخذتُ تمشي  
في السَّقْفِ، والفرسانُ ينظرونُ  
فَبَهِتُوا، وسقطوا من خوفِهِمْ، وماتُوا،  
وبعدها، لم يجرؤ السُّلطانُ  
على دخول بيتي . . )



## ١٤ - امرأة ورجل

( - رأيتُ أنَّ فارساً  
من السماءِ حاملاً  
قارورةً يملؤها تراباً، قَدَّمها إليَّ -  
كان أحمرأ يسيلُ منه دمك - انْقَلَعْتُ  
كالعشبة من سريري . . .  
- اطمئني ؛  
الحيرةُ التي ترجُ نفسي تزولُ،  
إنَّ ضوءاً يشعُ - كلُّ جوعٍ  
جوعي  
وكلُّ جُرْحٍ  
جرحي،  
وكلُّ موتٍ . . .  
حُلْمُكَ يَسْتَنْفِرُ في كتابي  
حروفه والنَّارَ والمجامرا

حلمك يُغريني كي أسافرا  
في هذه الحُفنة من تُرابي...)

## ١٧ . مَرَاةُ الْحَجَّاجِ

(ليس له وراء  
يرفضُ نَدِيَّ أُمِّهِ :  
كَانَ اسْمُهُ الْحَجَّاجُ .  
وَتَقَبَّوْا فَأَرَأُ  
وَتَقَبَّوْا وَرَاءَهُ  
وَدَهَنُوا بَدَمَهُ الْحَجَّاجِ  
وَذَبَحُوا تَيْسًا وَدَهَنُوا بَدَمَهُ الْحَجَّاجِ  
فَالْتَذُّ بِالْذَّمَاءِ  
صَارَتْ لَهُ رِضَاعَةٌ وَأُمًّا .

وَاسْتَطَرَدَّ الرَّاوي :  
... وَصَعِدَ الْمَنِيرَ فِي يَدَيْهِ  
قَوْسٌ ، وَفَوْقَ وَجْهِهِ لَثَامٌ  
وَقَالَ ، بِالسَّهَامِ وَالْقَنَاعِ ، لَا بِالصَّوْتِ وَالْكَلامِ :

«أنا ابنُ جَلّاءٍ وطلّاعُ الشّايا...»  
... أنا هو السّؤالُ والتّبراسُ  
أنا هو الفّراسُ -  
ويلُ لمن يكونُ من فرائسي...)

وَزُلْزِلَ الْمَكَانُ  
وَاهْتَزَّتِ الْبِلَادُ مِثْلَ شَجَرَةٍ  
وَسَقَطَ الْمَسْجِدُ مِثْلَ ثَمَرَةٍ  
وَسَقَطَ الزَّمَانُ.

## ١٦ . مِرَاةُ الرَّأْسِ

( - سَايَرْتُهُ ، رَصَدْتُهُ  
غَلِغَلْتُ فِي جَفَوْنِهِ  
أَيَقَطْتُ كُلَّ شَهْوَتِي هَجَمْتُ وَاحْتَرَزْتُهُ ...  
وَجِثْتُ .

كَانَتْ زَوْجَتِي نَوَارُ  
تَفْتَحُ بَابَ الدَّارِ :  
- أَوْحَشْتَنِي ، أَطَلْتَ ، كَيْفَ ؟  
- أَبْشِرِي ،

جِثْتُكَ بِالدَّهْرِ ، بِمَالِ الدَّهْرِ  
- مِنْ أَيْنَ ، كَيْفَ ، أَيْنَ ؟  
- بِرَأْسِهِ ...  
- الْحَسِينُ ؟

وَيَلْكَ ، يَوْمَ الْحَشْرِ  
وَيَلْكَ لَنْ يَجْمَعَنِي طَرِيقُ أَوْ حَلْمُ أَوْ نَوْمُ  
إِلَيْكَ ، بَعْدَ الْيَوْمِ ... )

وَهَاجَرَتْ نَوَارُ .

## ١٧ . مرآة الشاهد

وحينما استقرت الرماحُ في حشاشة الحسينُ  
وازيّنت بجسدِ الحسينِ  
وداست الخيولُ كلَّ نقطةٍ  
في جسدِ الحسينِ  
وأستلبتْ وقُسمتْ ملابسُ الحسينِ،  
رأيتُ كلَّ حجرٍ يحنو على الحسينِ  
رأيتُ كلَّ زهرةٍ تنامُ عند كتفِ الحسينِ  
رأيتُ كلَّ نهرٍ  
يسير في جنازةِ الحسينِ .

## ١٨ - هزاة لمسجد الحسين

ألا ترى الأشجار وهي تمشي  
حدباء ،  
في سُكْرِ وفي أناة  
كي تشهد الصلاة ؟  
ألا ترى سيفاً بغير غملي  
يبكي ،  
وسيفاً بلا يدين  
يطوف حول مسجد الحسين ؟

## ١٩ . سِرَّاءُ الْحِلْمِ

خُذِيهِ ، هَذَا حُلْمِي  
خِيطِيهِ وَالْبَسِيحِ  
غِلَالَهُ .

أَنْتِ جَعَلْتِ الْأَمْسُ  
يَنَامُ فِي يَدَيَّ  
يَطُوفُ بِي ، يَدُورُ كَالْهَدِيرِ  
فِي عَرِيَّاتِ الشَّمْسِ  
فِي نَوَاسِ يَطِيرُ  
كَأَنَّهُ يَطِيرُ مِنْ عَيْنِي .



## ٢٠ . مرآة التاريخ

( - بَقِيَّةُ الرُّطوبَةِ الأولى  
تَجَفَّفَتْ ،

وَأُنْعَصِرَتْ مِنْ طِينِهَا السَّاعَاتُ ، مَا تَبَقَّى  
صَارَ إِلَى مَلُوحَةٍ  
أَوْ رَبَّمَا صَارَ إِلَى مَرَارَةٍ . )  
وَقَالَ آخَرُونَ :

( - خِلَاصَةُ الزَّرْنِيخِ بَعْدَ مَزْجِهَا الْقَوِيِّ بِالرَّمَادِ  
أَوْ عِرْقِ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ . )

وَقِيلَ : مِثْلُ حَجَرٍ  
يُرْشَحُ مِنْهُ الْمَاءُ .

وَقِيلَ : فِيهِ مَاءٌ

تَأْخُذُهُ الشَّمْسُ لَهَا غِذَاءٌ  
تَصْنَعُ مِنْ قُتَاتِهِ الْبَخَارَ ، أَوْ تَصْبُهُ كَالْجَمْرِ  
فِي حُفْرَةٍ عَظِيمَةٍ كَالدَّهْرِ ،

ثمَّ يعودُ مطراً...  
وقال آخرون:  
( - دوامةٌ

وهو كمنجنون  
يغرفُ ماءَ نهرٍ  
يصبّه في جَدولٍ  
يصبُّ من جديده  
في ماء هذا النهر... )

... ووقفَ الماءُ معي زماناً،  
تخلخلتِ مراكبي  
وغابتِ المناره  
وصارت الأمواج كالبحارة -  
هل بلغَ التاريخُ منتهاهُ؟  
هل أوماتُ شمسي إلى سواه؟  
أبحرتُ فيه زماناً  
رأيتُ ما رأيتُ - كلَّ جوهرٍ  
رأيتُ كلَّ طيبٍ،  
رأيتُ خيزرانةً

تمتدّ مثل مركبٍ  
يصعدُ من أطرافه لهيبُ  
والشمس والأيام  
كالسّمك الطّافي -  
وانقلب المركبُ،  
صارَ مرجلاً يفورُ . . .

وقال آخرون :  
( - يسلكُ دربَ الشمسِ ،  
فحينما تدخلُ في السّنبلة  
وحينما تدخلُ برجَ الحوتِ  
أو تكونُ عندَ القوسِ  
تشتدُّ أمواجهُ  
وتكثرُ البلبلة . )

وقال آخرون :  
( - فيه من المّحار  
ما يخافُ أو يحنُّ مثلُ أمّ  
والقصبُ المضيءُ  
فيه  
الغامضُ الشّريدُ

واللؤلؤ القريبُ والبعيدُ  
والعنبر المدور الأزرق...  
وحينما يبلغه الحوتُ  
يطفو، وبعد برهة، يموتُ  
وقبل أن يجرفه التيارُ  
أو يغرق  
نَشَقَهُ  
ونأخذ العنبرُ  
من جوفه  
كقطع الجبال أو أكبر...  
.... ومرة،  
غسلته بخلٍ  
أطعمته المغنيسيا  
وعسل النحل وماء الزاج  
وجوهر الزجاج..)

وقيل: كرسى من الزجاج فيه مركبٌ  
ملتصقٌ بالشمس فيه لؤلؤ  
أو سرطانٌ تائهٌ كالموج،

والتاريخُ مثلُ طائرٍ منبسطٍ في جسد الإنسانِ  
يصدقُ أو يطيرُ أو يعيشُ  
في القبور... .

( - . . . وهو عُونٌ  
يظهرُ في الليالي ،  
ينامُ في الطريقِ أو يحومُ  
يزيلُ كلَّ باقٍ  
يُتيه كلَّ سائرٍ  
وَيَمْلأُ العايمَ والخرابَ . . .  
هكذا ، يقولُ بطليموسُ  
والكوكبُ الذي يُسمى الكلبُ ،  
والنجومُ - )

. . . أيتها السوانحُ اكتنزتُ -  
باضتَ تماثيلك في هوائي  
أجنحةً تطيرُ في ثيابي  
هوائفاً سمعتها تغني  
حاولت أن أراها ،  
لكنني عجزتُ .

## ٢١ - مِرَاةُ الْأَرْضِ

هذا الذي يَلْجُ في سريري  
يقتلعُ النَّخِيلَ والقَبَابَ والأَجْرَاسُ  
يضربُ وَجْهَ الْأَرْضِ،  
هذا الدَّمُ الرَّافِضُ، هذا الرَّفْضُ  
تَلْهَفُ آخِرُ، واشْتِعَالُ  
باسمِ الغدِ الطَّالِعِ باسمِ الْأَرْضِ -  
مملكةِ التَّارِيخِ، والحُضُورِ، والأَعْرَاسِ  
تَلْهَفُ آخِرُ، واشْتِعَالُ  
بِالزَّمنِ الفَاتِحِ رَاحَتِهِ  
مثلي، بِالْأَرْضِ وَنُورِ الْأَرْضِ.

## الرأس والنهر

(جسر قديم . ضفة على النهر تظللها ثلاث أشجار - حورة  
وصفصافتان .

نساء مشوهات يُظن أنهن ممرضات . عجوزان . أم مشومة وطفلها .  
ثلاثة شيوخ . شبان مشوهون يستلقون تعباً وجوعاً .  
تجري مياه النهر بطيئة موحلة) .

### ١ - القول

شيخ (بصوت ضعيف) :

الحرب زريبة

غنم... .

شيخ (بنبرة من يعزح) :

قالوا

إن الحرب حقيقة .

(يصمت . يتابع بشيء من الجدل)

لو أنَّ الحربَ حَقِيَّةٌ

لملأناها

خَرَزاً

وجلسنا فيها

وَصَبِرْنَا . .

شاب (يظن أنه كان جندياً):

قالوا إن الحربَ وِسَادَةٌ

(يتمدد كمن يحاول أن ينام)

وأنا الوَسَنُ

شيخ ٣ (بنبرة حكيمة)

الحربُ وِسَادَةٌ

للموتِ

وعادَةً

(صمت . يتابع بلهجة غاضبة)

هذا الوَطَنُ

زَرْعٌ

والأيامُ جَرَادَةٌ .

أصوات (بعيدة، مجهولة):

قوافلُ سَوَادَاءُ مَجْهُولَةٍ



تكنن تحت الماء،  
هل أنت، يا سلالة الآباء  
تجيء في ليل من البهار  
من توابل الرؤوس  
والقتل،  
من توابل الغابات والفؤوس

هل أنت، يا سلالة الأمواج  
تصعد نحو كوكب المجهول، كالمعراج...  
من أنت، من يجيبني؟ حنيني  
غما هنا كسروية، وطال  
وها هو السؤال  
في جسدي،  
بحيرة...

## ٢ - الزمن المكسور

الجوقة (غير منظورة):

سيجيء السيل  
قبل حلول الليل.

(ما من أحد يهتم . يدخل شخص يحمل نايًا، يُظن أنه راع).

الراعي (بلهجة طبيعية):

حلمتُ أن رأساً

في النهر. . .

(تقاطعُه امرأة ١، وتسأله بسخرية ناعمة).

امرأة ١: هل سمعتهُ يغني

كرأس أورفيوسُ

تذكرُ أورفيوسُ؟

الراعي (بلهجة واثقة):

سمعته يقولُ:

(صمت، يتابع كمن يتذكر)

في البدء كانَ النهرُ

كانَ حطامُ الزمنِ المكسورُ

يُصْهرُ في تنوُّرٍ

من غضبِ الأمواج، كانَ الجمرُ. . .

(يخرج الراعي)

أصوات (بسخرية قاسية):

ها ها

رأسُ محتالٍ

ها ها

## رَأْسُ دَجَّالٍ

(دوي انفجارات بعيدة. موسيقى صاخبة. ثم تتابع هذه الأصوات الثلاثة الحوار التالي).

صوت ١: في البدء كان خاتمُ الولاية

صوت ٢: وكان في النهاية

صوت ٣: في البدء كان النقطُ والمنجنيقُ  
وزوجةُ البطريقُ.

صوت ٢: في البدء، كان رأسُ  
يدورُ كالدولابُ

صوت ١: في البدء، كانت قبةُ المحرابِ  
(صمت. يتابع كأنه في حلم)

دخلتُ تحت قشرها

صعدتُ - حينَ عدتُ

رأيتُ أنَّ الشمسَ خيزرانةً.

مورقةٌ تلتفُّ حول بابي.

صوت ٣: في البدء كانت عُنَّةُ

تبيضُ في ثيابي . . .

(يفرك يديه الاثنتين صدره وفخذه. تعود الأصوات الثلاثة فتترد معاً).

الأصوات الثلاثة (بسخرية حادة):

ها ها رأسٌ محتالٌ

ها ها رأسٌ دجالٌ

(فقهة ساخرة. أشخاص كالأشباح يعبرون النهر قرب الجسر،  
يحملون أحذيتهم وأمتعتهم وأطفالهم).

### ٣ - القمر والرمانة

(موسيقى حب وموت. دوي انفجارات بعيدة).

شيخ ؟ (مستغرباً):

كيف يسير الرأسُ والإنسانُ لا يسيرُ؟

امرأة ١: (ساخرة):

كيف يغني الرأسُ والإنسانُ لا يغني؟

شاب ١ (متكهماً):

ألرأسُ لا يسيرُ بل يطيرُ. . .

(صدى صوت يتعد هو صوت الراعي)

الراعي (من بعيد):

تسبح عن يساره

تركضُ عن يمينه

الضُّفَّافُ

والأَرْضُ وَجْهَ امْرَأَةٍ

تَطُوفُ، وَالطَّوَّافُ

تُفَاحَةٌ . . .

امرأة ١ (تناول حصاة كالتفاحة تقدمها إلى شاب ١ يجلس قريباً):

هذه لحظة الدخول إلى الهُوَّةِ المستتيرة

هذه لحظة اللِّقَاحات والليلة الأخيرة . . .

(يتعانقان وهو يأخذ الحصاة . يتملّدان ويتهامسان).

شاب ١ (معانقاً امرأة ١):

لي شهوتي

أن أشعل النّهدين في أيّامي الغريبة

أن أعرف الحياة لا السّلطان

أسهر في بستان

يسهر فيه قمر الحبيبة

(موسيقى موت وحب)

شيخ ١ (فجأة إلى شيخ ٢):

نزل القمر

طوّف حول نوافذنا

وترصدنا  
كان الموتُ دليلاً  
كان الحجرُ .

شيخ ٢ (كأنه يستيقظ من النوم):

... وسجد النجمُ

وكان في يساره

قوسُ

وفي يمينه سهمُ

فسقط العدو . .

(صمت . ثم يتابع كأنه يحلم)

... رفَّ حولي

جبريلُ، قال - أبشرْ

ومدَّ لي سكرةً

طعمتها،

ولم يزل في فمي الطعمُ .

(يحرك شفتيه ولسانه كمن يتذوق طعم سكرة طيبة . تلمح جثة  
متفخة لفظها النهر: جثث تنقل من بعيد قرب الجسر . دوي انفجارات  
بعيدة) .

تَقِيَّاي رَمَلْكَ يَا مَدِينَةَ

وجْهَكَ وَجْهٌ صَخْرَةٌ  
والْكُونُ فِي وَجْهِكَ مِثْلُ دُمْلٍ

(صمت . امرأة تحتضر، تموت، يغطيها شخصان، يحملانها  
ويخرجان . تتابع الجوقة بإيقاع غاضب) :

أَلْقَمَرُ الشَّيْخِ كِتَابُ شَرَعٍ  
حَرَقْتُهُ

وَالزَّمَنُ أَنْهَدَامٌ

فِي رَثْيِي ، وَوَجْهِي

يَنْشَقُّ مِثْلَ قَبْرِ . . .

تَقْيَايَ رَمَلِكِ ، يَا مَدِينَةَ .

(موسيقى موت وغضب)

شيخ ٢ (كأنه لم يسمع الجوقة، متابعاً حديثه الأول) :

نَادَتْنِي الرَّمَانَةُ -

خَذَنِي كَمَا تَرَانِي

مَلِيئَةً عَرِيَانَةً

كُلْنِي . . .

أَكَلْتُ ،

طَالَتْ ،

وَسَكِرْتُ بِحَيِّي

وترصدنا  
كان الموتُ دليلاً  
كان الحجرُ . .

شيخ ٢ (كأنه يستيقظ من النوم):

. . . وسجد النجمُ

وكان في يساره

قوسُ

وفي يمينه سهمُ

فسقط العدو . . .

(صمت . ثم يتابع كأنه يحلم)

. . . رفَّ حولي

جبريلُ، قال - أبشرُ

ومدَّ لي سكرةً

طعمتها،

ولم يزل في فمي الطعمُ .

(يحرك شفثيه ولسانه كمن يتذوق طعم سكرة طيبة . تلمح جثة  
منتفخة لفظها النهر: جثث تنقل من بعيد قرب الجسر . دوي انفجارات  
بعيدة) .

تَقْيَايَ رَمَلِكْ يَا مَدِينَةَ



وجْهَكِ وجهُ صخرَةٍ  
والكونُ في وجهكِ مثل دُمْلٍ

(صمت. امرأة تحتضر، تموت، يغطيها شخصان، يحملانها  
ويخرجان. تتابع الجوقة بإيقاع غاضب):

أَلْقَمُرُ الشَّيْخِ كِتَابُ شَرَعٍ  
حَرَقْتُهُ

وَالزَّمَنُ انْهَدَامٌ

فِي رُثْيٍ، وَوَجْهِي  
يَنْشَقُّ مِثْلَ قَبْرِ . . .

تَقْيَايَ رَمَلِكِ، يَا مَدِينَةَ .

(موسيقى موت وغضب)

شيخ ٢ (كأنه لم يسمع الجوقة، متابعاً حديثه الأول):

نَادَتْنِي الرَّمَانَةُ -

خَذَنِي كَمَا تَرَانِي

مَلِيئَةً عَرِيَانَةً

كُلَّنِي . . .

أَكَلْتُ،

طَالَتْ،

وَسَكِرْتُ بِحَبِّي

وحملتُ في العام مرتين . . .

شيخ ١ (يجيبه حالماً):

حلمتُ -

دار الوجد

خَطَّفَنِي،

دخلت بيت النار

خرجتُ يسَاقُطُ مِنِّي الوردُ

كَأَنِّي آذَارُ أَوْ نَوَّارُ.

(موسيقى قديمة سحرية)

شاب ١ (إلى امرأة ١):

نهداك، في نهديك طفلتان

واحدة تَمُوتُ مِنْ هَذَا

واحدة تَذُوبُ فِي قَبْلِهِ

فَلَنَكْسِرَ الزَّمَانُ

كَالْغُصْنِ،

إِنَّ الْكَوْنَ يَهْلُوَانُ

إِنَّ إِلَهَ الْعَالَمِ الْمُقْصَلَةَ.

(موسيقى غضب وقوة)

## ٤ - السيل

(الأم تحتضن طفلها، منتظرة موته بين لحظة وأخرى. يدخل الراعي مسرعاً).

الراعي (مخاطباً الجميع):

ابتعدوا،

تحركوا،

فالسَّيْلُ . . .

(يقاطعه صوت ساخرأ)

الصوت (مقاطعاً):

سوف يجيء السَّيْلُ

قبل حلول اللَّيْلِ . . .

(يخرج الراعي)

الجوقة (غير منظورة):

نعرف، هذا زمن السيول

نعرف، هذا زمن الأفول

(صمت. موسيقى إيقاعية سريعة)

نسمعُ أن آتياً

يغيّر الدروبُ

يذهنُ وجه الأرض، يَسْتَبِيهِ

ينفخ فيه الدَّاءَ والشَّحوبَ .

نَسْمَعُ - أُمْخَاذُ مِنَ الْبَلَوِ

آتِيَةٌ فِي السَّيْلِ ،

كُلُّ فَخْذٍ

مُبْطِنٌ

كَأَنَّهُ بَلْقَيْسُ ،

أَوْ كَأَنَّهُ تَيْمُورُ .

(صمت . الموسيقى تعود إلى التسارع)

نَعْرِفُ

أَفْرَاسُ ،

وَحَوْشُ مَاءٍ ،

تَجِيءُ فِي السَّيْلِ ،

وَفِي الضَّفَافِ

تَطُوفُ غَابَاتُ مِنَ الْقُبُورِ

وَانْتَهَتْ الْأَجْيَالُ وَالْعَصُورُ

وَمَا انْتَهَى الْمَطَافُ .

(يموت الطفل . تحتضنه الأم)

(بصوت مخنوق) :

يَا مَوْتُ ،

الأم

يا صديقَ الأطفالِ  
ضُفِّمْ طفلي،  
واحملْ له ألعابَهُ، وأطبقْ  
جفنيه كي يحلِّمَ، كي يراني . . .  
أَدْخِلْهُ في بلادِ  
جديدةٍ، يَروِ  
أسرارَها،  
يَبْقَى ولا يعودُ.

(تضع الأم طفلها على الأرض، دون غطاء. تخلع عجوزاً معطفها  
الأسود الممزق وتغطيه. يدخل شخصان مقنعان يحملانه ويخرجان.  
موسيقى جنائزية).

الجوقة (غير منظورة):  
تفتّحي يا وردة الدماء  
في جثّة العصفور،  
في صبيّة  
محروقة، في نهر الأشلاء  
في الأطفال يُخنقون في السّماء  
يابسةً كوجه مومياء  
تفتّحي كبذرة خفية

لدورة الفصول،

تفتّحي

هذا هو اللّقاحُ هذي رعشةُ الحقولِ.

## ٥ - صوت من الماء

(دوي انفجارات بعيدة. أسراب طيور فوق الجسر. يدخل شاب صغير السن أتبعه الركض كما لو أنه كان يسابق مجرى النهر).

الشاب (صارخاً):

رأس مهيار يجري...

(يخرج راكضاً)

شيخ ٣ (دون دهشة، لنفسه):

يخطرُ لي خاطرٌ

وفجأةً،

أراه مرقوماً على ثيابي.

(صمت. لنفسه)

عرفت أنّ موته قريبٌ...

البجوة (غير منظورة):

رأسه الجُرحُ والتّزيفُ

رأسه حولكم يمامةً

تحملُ الأرضَ كالرغيفُ  
رأسه حولكم علامةً.

(صمت . موسيقى موت قوية).

مات مهيار مات

مثلما تنضج العناقيدُ أو يُزهر الثّباتُ

مثلما يُكسّر القمر

وتُهدّ البيوتُ

مثلما يُطفأ الشررُ

مثلما تحضن البراكين أسرارها وتموتُ . . .

(يسري جو من الرّهبة يرافقه نوع من الحزن في نفوس الحاضرين ،  
إلا قلة من الشبان).

شاب (يحتضن زجاجة فارغة):

أقيم في همومي

كأنني أقيم في زجاجة

مملوءة بآية البُخار

أعيشُ كالذّجاجة

في حوشي المغطى

بالقش والغبار.

شاب ٣ (يجلس القرفصاء محرّكاً التراب):

أبحث في مملكة الرّماح  
عن وجهك المدفون ، يا بلادي

شاب ٤

(بغضب):

كيف تُكَمُّ الشَّمْسُ عن عيوننا  
وَتُوصِدُ الأبوابَ  
أماننا،

هل نحن من سُلالة اليقطينِ  
أم سُلالة اللَّبَلاب؟

الجوقة

(بما يشبه الترتيل):

لأنَّ في أعماقنا بقيَّة  
من خَدَرِ التَّاريخِ ،  
من غِيلايهِ الخَفِيَّةِ  
ماتَ ،

لأنَّ العالَمَ اغتصابُ  
وأرضنا ضحيَّة.

(صمت . موسيقى هادئة)

صوتٌ من الماء ، يقول الصَّوتُ :  
ماتَ لكي ينهيَ عهدَ الموتِ . . .

شاب ٥

(بشيء من التمرد اليائس):



من أين؟ كيف انفتدي، تُعاني  
تفتت الإنسان أو تفتت المكان  
أرملة تجر ناهديها  
كخرقة.

الجوقة (بترتل):

صوت من الماء، يقول الصوت:  
مات

لكي يُنهي عهد الموت.

(موسيقى هادئة. أسراب طيور فوق الجسر. جثث تنقل من ضفة إلى ضفة).

الأم: زمن الموت يبدأ  
أين أرمي خطاي، أشرد، أم أين الجأ؟  
غرقت رقعة الزمان  
ولم يبق مرفأ.  
(تبكي)

امرأة ٢ (حاضنة الشاب ١):

لون صدري جزيرة  
لون ثديي مرجل  
لك عيناى مرفأ

لك فخذاي جدولُ  
والغبارُ الذي يلفُ ذراعيك مُخملُ  
لي بلادٌ ومُخملٌ . . .

الشباب (فيما يطوق خصرها):  
خصرُك لي نموذجٌ وصورة  
لهذه المعمورة:

(موسيقى جنسية صاخبة. تهادأ الموسيقى، فيسمع من بعيد صوت  
يخرج من ماء النهر، يظن أنه صوت الرأس).

الرأس (صوت بعيد):  
ليس صوتي إلهاً  
ليس صوتي نبياً . . .  
صوتي النارُ والنَّفيرُ  
صوتي الصَّاعق المزلزل، والطَّالِعُ البَشِيرُ

البحوقة (غير منظورة):  
وجه مهيار في الماء يسطع كالجوهرة  
لم يعد غير صوتٍ  
والحقولُ المزامير، والنَّهرُ الحنجره

أصوات (بسخرية):  
هاها

رأس يسرق مُلْكَ النَّاسِ

يهذي

هاها

رأسُ الخَنَاسِ الوسواسِ...

(صوته يقترب شيئاً فشيئاً):

الرأس

أصواتكم حصارُ

لكنني محصَّنٌ بصوتي

محرَّرُ

برفضي الباريء، بانفجاري

كأنني المهبُّ أو كَأَنِّي البركانُ

باسم الغد الصديق،

باسم كوكبٍ

سمَّيته الإنسانُ.

(صمت)

وكان موتي عشبَةً

في الماء، مثل طفلةٍ من زهر اللُّوتس

مثل نَورسٍ يعرف أن يكونَ

زنبقةً بيضاء، قوس قزحٍ

يحب أن يكونَ

كالبَحْر، نبضاً هائِجاً

وغابة

من فرح كالموج ، من كآبة

ترقد تحت شجر الصفصاف مثل طفلة .

وكان موتي طائراً

حَوِّم في حميلة الغرابة

وطار ،

صار نَهراً يفيض ، صار رأساً . . .

وكان موتي لاجئاً

في فجوة الزمان ، كان لاجئاً

يُضيء مثل كوكب يُضيء

وكان موتي قُوَّة الزَّمان ، كان الوعدَ والمجيء .

الجوقة

(غير منظورة):

مُدُّ لنا يدك

أفرغْ لنا تاريخك الملائن

نلمحُ في عينيك

من دمي

ناعورةً ونبع

يا وطناً عطشاناً

يا وطناً ممتلئاً بالدمع . . .

الرأس (وحده):

أثقبوا جبهتي قيدوني  
وخذوا حرباً وانحروني  
مزقوني كلوني  
واقروا كيمياء المدينة  
بين أشلائي الأمانة .

الجوقة (غير منظورة):

جسدٌ مفروسٌ في البرية  
والنهر دمٌ والموجة نورٌ  
جسدٌ هدّته الحرية  
جسدٌ تبنيه الحرية . . .

الرأس (بصوت يزداد عمقاً وحزناً):

صانعٌ غيركم أصدقاء  
صانعٌ غيركم فضاء . . .

الجوقة (غير منظورة):

فارسُ،

يا عرّاف الحبّ، لأيّ مكانٍ

تمضي؟  
خُذْنَا، خُذْنَا. . .  
أَلَدُنْيَا سَرَجٌ يَدْعُونَا  
وَالنَّهْرُ حِصَانٌ.

(موسيقى سريعة هادرة. ينهض الجميع خائفين لأن السيل فاجأهم .  
يحاولون أن ينجوا، لكنهم يعجزون، ويجرفهم. فيما تغيبهم أمواجه  
يبدو الرأس جارياً على صفحة النهر كأنه جزء من الماء).

الرأس (بصوت مهيب):  
سار أمامي جسدي  
أزمنةً، مدائنًا  
تواكب النهر  
مَسْرَحُهَا بَضْعَتَيْنِ - الحبُّ والبشرُ.

أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ أَكْمَلْتُ: صوتي  
يفهمه الزَّلْزَالُ والأطفال والرَّيْعُ  
يفهمه الجميع -  
صوتي لا يُرَدُّ مثل موتي .  
سَكَنْتُ كُلَّ عَشْبَةٍ  
أَلْفَتُ بَيْنَ الصَّخْرِ والنبات  
بين غبار الطَّلَعِ والمرايا

وجنس أغنياتي .  
 لي وطنٌ  
 لا يعرف التَّخومَ ، لا تحدّه الشَّطآنُ  
 تحدّه علامتان - الشَّمسُ والإنسانُ  
 وها أنا أطوفُ  
 كي أزلزل الحدود ، كي أعلم الطَّوفانُ .

الجوقة (غير منظورة):  
 نقرأ في الطَّوفانُ  
 كتابةً  
 عن وطنٍ يسقطُ مثلَ ورقٍ . . .

أصوات (ساخرة، بعيدة، غير منظورة، مقاطعة):  
 وطنٌ -  
 منخلُ ماءٍ  
 وطنٌ يُفْتَحُ كالذَّكَانُ .  
 وطنٌ يُقْفَلُ كالذَّكَانُ

الجوقة (بإيقاع سريع):  
 نقرأ في الطَّوفانُ  
 كتابةً ،  
 عن وطنٍ .

يسكن مثل شهقة

في رثة الإنسان.

الرأس (والجوقة معاً):

غائبٌ حاضرٌ كمائك يا نهرُ

حويتُ الأسماءَ والأشياءَ

فاحتضني واستنفر الرعدَ في صوتي

وهجسَ التكوين،

والأنواءَ

واجر يا نهر فطرةً

وكن النشأة،

كن صرخةَ الدّم العذراء.

(صمت. أسراب طيور فوق الجسر. فيما يغيب الرأس يسمع صوته

يتعد شيئاً فشيئاً).

الرأس والجوقة معاً (بليقاع هادئ):

لا أعرفُ التخوم لا تحدني الشيطانُ

تحدني علامتان - الشمس والإنسانُ

وها أنا أطوفُ كي أزلزلَ الحدودَ، كي أعلمَ الطوفانَ.

(موسيقى غضب وفرح. تهدأ الموسيقى. يبدو في مشهد جديد شيخ

٣ وحوله أطفال كثيرون يخبرهم بقصة الرأس).



شيخ ٣ (للأطفال):

واشتعل الفضاء مثل وجهه المهاجر الظمان

وحال: كلّ نجمة

زجاجة والقمر المصباح

ونامت الدنيا على الحيطان

ستة أيام بلا ضياء

واستسلم الزيتون والتفاح

للدمع

لو قلبتم الحجار، لو شهدتم -

فتحت كل حجرٍ غديرٌ

من دمه،

والزمنُ المَعْصِفُ المَلَانُ

بجرحه، ربابةٌ

غنت، فكلّ نخلةٍ خريفٌ

يكي،

وكلّ صخرةٍ سحابةٌ.

(يصمت. يبدو الأطفال مشدودين بذهولٍ إليه. ثم يتابع

حالمًا).

عند غروب الشمس

في فلكٍ يصعدُ كالزفير

يُعلّقُ الهواءُ  
مدينةً للحزن ، والشّموع حول الرّأس  
ويُسمعُ البكاءُ تحت الأرض كالهدير.

(صمت)

أصغوا إلى الهواء ، في الهواء ما يقولُ فيه زَغَبُ  
وحَمَى ،  
وفي الهواء ماءٌ  
يغسل وجه الزّمنِ المُدَمَّى  
يجرفُ ،  
أو يبدع ما يشاء .  
(موسيقى . صوت عاصفة . أمطار)

## السما، الثامنة

(رجل في مدائن الغزالي)

قافلة كالتاي ، والنخيل  
مراكب تغرق في بحيرة الأجفان  
قافلة - مذنب طويل  
من حَجَر الأحزان  
آهاتها جرار  
مملوءة بالله والرمال :  
هذا هو الغزالي

يجيئنا في كوكب  
تَحْضَنُه نساؤنا  
تصوغ من بهائه  
التياب والأحلام والآلي .  
يبتدىء السقوط في مدائن الغزالي  
يُسْتَنْزَلُ الفرقان واللسان

وتعلّقُ الجباه بالغبار ، - في مدائن الغزالي  
شَرارةٌ ليس لها مكانٌ  
والرّيحُ مثلُ جَمَلٍ .

وبعدَ أن يصمتَ أو يضيعَ سائلُ  
تَجْرُهُ حَشِيشَةُ السُّؤالِ ، يعرفُ : كلُّ نَهْرٍ  
يصبُّ أو ينبعُ في مدائن الغزالي  
يصيرُ صِهْرِيحاً من الدَّموعِ  
يدورُ في ناعورةِ الشفاه أو في قفصِ الضلوعِ :

- والوطنُ المفتوحُ مثلُ كَفَنٍ .  
يَمَامَةٌ تُذبحُ في ينبوعِ  
رأيتُ فيه أمةً . . .

رأيتُ فيه القمرَ المقطوعِ  
من أوجهِ الأطفالِ ،  
والزَّمنَ المنكُسَ المخلوعِ  
والزَّمنَ الآتي كالزَّلزالِ . . .

يبتدئُ السَّقُوطُ في مدائن الغزالي  
يختلجُ الشَّارعُ كالسَّتَّارةِ  
والزَّمنُ الرّابضُ مثلُ خنجرٍ

يغوصُ تحت العنق ،  
والمنارة  
ستارةٌ سوداءُ .

أهدمُ ، كلَّ لحظة ،  
مدائنَ الغزالي  
أدحرجُ الأفلاك فيها ، أطفئُ السماءَ :  
- والفجرُ مثلُ طفلٍ  
سبعُ حرابٍ سودُ  
سبعُ سماواتٍ بلا حدودٍ  
تهيمُ في خطاهُ .

ويدخل الموتى ويخرجون  
من نَفَقٍ أخضرٍ - في مدائن الغزالي  
يأتون في كلامٍ  
يثنُّ ، في دروبٍ كالملح ، في كتابٍ  
يموتُ ، دَقَّتْهُ  
رَقَصُ وصافناتُ . . .  
ويدخل الموتى ويخرجون . . .  
- . . . والشَّمْسُ في ثيابهم

جارية صفراء  
 مدهونة الثديين بالقلوب  
 بالحجر الأحمر، بالكبريت والغيوب  
 تسقط كل ليلة  
 في نشوة الإسرائ  
 تلتهم السيف والسنينا،  
 تطرح، كل لحظة، جنينا...  
 ويدخل الموتى ويخرجون...  
 توعدي يا فرس النبي في مدائن الغزالي  
 توعدي خطاي والطريق  
 عذابك الكبير مثل خيمة  
 كسرت فيها خاتم الزواج، والكوتر، والوحيق  
 توعدي، أعرف كل خلجة  
 في جسمك العتيق  
 أعرف ما يقوله عذابك الكبير - في مدائن الغزالي  
 مسافرون...  
 - أين تذهبون؟  
 لن تصلوا، فهذه الطريق لا تمر في دمشق، والصباح  
 ترسمه الأنصاب والأشباح  
 مسافرون يخطون...

أين يذهبون؟  
من جُثث الآباء يحملون  
ثمائها  
والتيه في أقدامهم طريق  
والرمل في وجوههم عيون.  
... (شدت فوق جسدي ثيابي  
وجثت للصّحراء  
كان البراق واقفاً يقوده جبريل، وجهه كآدم،  
عيناه كوكبان  
والجسم جسم فرس. وحينما رأني  
زُلزل مثل السمكة  
في شبكة...)

أيقنت، هذا زمنُ التناسخ - الإضاءة:  
الشمس عين قطرة  
والنّفط رأس جمل  
تقلد الخنجر والعباءة،  
وكلما سايرت في طريقي  
يمامة أو زهرة  
أو غبت في إشاره

بيني وبين الضوء، وانحنيتُ  
كالتبّع في مسالكِ الحجارةِ  
تَنَبَّتُ في جفوني  
رصاصَةً،  
وكَلِّمًا قلتُ أحبُّ الماءَ  
والزَّمنَ الآتِي، والأشياءَ  
وكَلِّمًا حاولتُ أن أبني أو بنيتُ  
تحتَ شمسِ الماءِ  
سقيفةً،  
تطلعُ في عروقي  
رصاصَةً...

... ( - لا تخشَ، في شفاعتي أنتَ، فما لَ  
نحوي، رَكْبَتُهُ وطارَ يميني...  
- هذا الذي يصيح عن يميني ينصحُ لي، لم التفت  
إليه...  
- لو أُنك التفتَ واستمعتَ، لاستلأن  
شعبك، من بعدك، لِلشَّيْطَانِ.  
- وهذه المرأة كالفيروز عن شمالي  
تنصح لي، لم أَلتفت إليها...



- لو أُنكّ التفت واستمعت، لاستهان

شغبك بالجنة والقيامة

واختار أن يموت فوق سرّة

ورفض الجهاد والكرامة . . . )

وكلّما هجستُ

ولدتُ بالهواءِ وانغrustُ

كالعشب في مدينة التراب

أستكشف الفضاء والجنّاحُ

أسكن في باكورة الرياحُ،

تنبّتُ في ثيابي

رصاصةً . . .

رصاصةً . . .

وكلّما سألتُ

وانكسر السؤالُ في سريرتي، وملتُ

كالغصن، أو نويتُ أن أطوفُ

في طبقاتِ الشّمس والهواءِ

مُستَسلياً كالماءِ،

تطلعُ في النّية والحروفُ

رصاصةً . . .

رصاصة... .

والشَّجَرُ الأخضر في الطريق

مدائنُ حُبلى وحاضينات

والشَّجَرُ المَيِّت في الطريق

نارٌ بلا ضحية

تظلُّ من رمادها بقية

في موقدِ الكلام

تحمل للطفل الذي ينام

حُلماً،

وللطفل الذي يُفقد

دفتر أحزانٍ وأغنيات... .

... (ها هو بيت المقدس - المعراج

يُمَدُّ لي، يجيشني جبريلُ

بأكؤسٍ ثلاثٍ... .

- خذ أيها تشاء

أخذتُ، كان لبناً، شربتُ

- إنَّ هذا

خمرٌ، وذاك ماءٌ،

فلو أخذت الخمرُ

لَغَوَيْتُ بِعَدُكَ ، مِثْلَ وَثْنٍ ،  
أَمَتَكَ الْحَنِيفَةَ  
وَلَوْ أَخَذْتَ الْمَاءَ  
لَغَرَقْتَ . . .  
وَلَفَّنِي جَبْرِيلُ وَابْتَدَأْنَا  
نَصْعَدُ فِي أَدْرَاجٍ  
مِنْ ذَهَبٍ وَفُضَّةٍ ،  
مِنْ لَوْلُؤٍ أَحْمَرَ كَالْقَطِيفَةِ . . . )

كَانَ الرَّغِيفُ يَصْبِحُ كَالْمَلِكِ :  
- اهْتَدَيْنَا  
نَارَ أَنَا  
وَضَرَبْتَنِي جَسَدُ الْمَدِينَةِ  
مَاسٌ ، دِمَقْسٌ ، أَرْجَوَانُ  
مَا كَانَ مِنْ ذَهَبٍ وَبَاقُوتٍ ، وَكَانَ . . .  
مَاذَا أَرَى ؟  
- هَذِي جُمُوعُ الْخَارِجِينَ إِلَيْكَ يَا تَاجَ الْمَدِينَةِ :  
عَنْ أَحْمَدَ :  
وَرَثْتُ قَطْعَتِي الْأَمِينَةِ .  
وَارْتَحْتُ مِنْ قَانُونِهِمْ . . .

عن صالح  
تاجرتُ بين المقعدين  
فرشت أيامي وساده . . .  
عن أخته :

نَفَقَ هَوَايَ  
وفي دمي ذئبٌ يدورُ  
وأنا الضحية والبخورُ.  
عن أختها :

وطني يشبُّ،  
يشيخُ  
يطعمني رمادةً .  
عن زوجها :  
وجهي ينام كطَوَطمٍ . . .  
عن حامد :

لم يبدأ التاريخُ  
أفتح ساعدي  
للشمس . . .

وانشَقَّ الرَّغِيفُ كأنَّه أفقُ النبيِّ  
وأنا العِرافَةُ  
ودخلتُ في لَهَبِ المسافَةِ

أَتَرْوِجُ النَّارَ الْبَعِيدَةَ فِي ، أَقْتُلُ الزَّمْنَ  
كَالْعُشْبِ ،  
أَغْتَسِلُ - اغْتَسَلْتُ ، غَرَقْتُ فِي أَلْقِ الدَّمْعِ  
وَحَنُوتِ فَوْقَ دَمٍ يَثْنُ ، دَمٍ يَجُوعُ .  
( . . . ) - مَاذَا تَرَى ؟  
- مَلَاكَ :

نَصْفَيْنِ مِنْ ثَلْجٍ وَمِنْ شَرَارٍ  
بِأَلْفِ أَلْفِ لُغَةٍ  
تَسْبِيحُ الْجَامِعِ بَيْنَ الثَّلْجِ وَالشَّرَارِ . . .  
- هَذَا مَلَكٌ يَسَاوِي  
بَيْنَ جَمِيعِ النَّاسِ ، وَهُوَ أَنْصَحُ الْمَلَائِكَةِ . .  
وهذه سِجَاءٌ غِبْرَاءٍ مِنْ حَدِيدٍ . . .  
- هَذِي اسْمُهَا الْمَاعُونُ  
يَسْكُنُهَا مَلَائِكُ  
أَكْتَفَهُمْ حِرَابٌ لِنَصْرَةِ الْإِسْلَامِ . . .  
هَنَّاوْنِي :  
الْخَيْرُ فِي شَعْبِكَ ، أَنْتِ الْأَصْلُ وَالْعَلَامَةُ  
مِنْ أَوَّلِ الزَّمَانِ حَتَّى مَوْعِدِ الْقِيَامَةِ .  
قَدَّمَنِي جَبْرِيلُ  
صَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ

بهم ، على مِلَّةِ إبراهيم... )  
وهبطتُ في أغوارِ نجمتي الصَّغيرةِ  
بين المَشيمَةِ والكَفَنِ  
في شمسٍ جُجمَةِ ضريرةِ  
فقرأتُ تاريخَ الفضاءِ ، قرأتُ تاريخَ القَمَرِ  
من قبل أن أَرِدَ الفضاءَ وقبل أن أَطأَ القَمَرَ -  
الأرضَ بيتيَ  
والزَّمنَ  
لغتي وصوتي...

وسمعتُ عَرَافَ الرصيفِ يقولُ : مفتاحُ المدينةِ  
تَحْتَ ومَغْزَلُ غازلٍ...  
عَرَافُ ، قُلْ لي ، فَسِّرِ الرؤيا ، نسيْتَ؟ أعيدها -  
... ودخلتُ دائرةَ الرِّغيفِ ، رأيتُ قطعةَ فُضَّةٍ ،  
سوداءَ ، تحملُ خنجراً . تَدَثُّو وتطعنني ، وتهربُ في الزَّفَاقِ ،  
ومتُّ ، لكن قمتُ فُجْأَةً  
ووجدتُني في حضنِ مرأةٍ...

( ... ثم رأيتُ ملكاً لم يَتَسَمَّ ... )

- من هو يا جبريلُ؟  
- عزرائيلُ ، اقترُبْ وسلِّمْ...  
سلِّمتُ هبَّ واقفاً هَنَانِي ،

سألتُ: كيفَ تقبض الأرواحَ؟ قالَ: سَهْلٌ.

حينَ يتمَّ أَجَلُ الإنسانِ

أُرسل أربعينَ من ملائكي

ينتزعون روحَهُ من العروقِ . . .

حينما تصيرُ في حلقومِهِ

أسلها كشعرة تُسَلُّ من عَجينٍ

فإنْ تكن طَيِّبَةً

قبضتها بحربةٍ من نورٍ

وإنْ تكن خبيثَةً

قبضتها بحربةٍ من سَخَطٍ . . .

وبَدَتِ الدنيا

في يده،

كدرهمٍ . . . )

عرَّافُ، قُلْ . . .

- لا شيء،

هذا مخبَرُ اللِّغَةِ العَجِينَةِ

لا شيء،

تاريخُ النِّسَاءِ مِجْدَةٌ

وحنانُ طِينِهِ .

- ودهنُها المعدنيّ؟

عرّاف قل كل شيء...

- والدّهْن كالوسام أو إشارة

علامة السيّد: كل شيء

نهدان في يديه أو ستاره

للزمن اليابس كالعرجون

للزمن المخزون

في امرأة...

والدّهْن معدنيّ

مملك،

ينزل مثل البحر في كتاب

يستوطن الأغوار أو يستوطن الصوّاري

يصير فوق أرضك البغيّ

شعائراً للذبح، أو فخاخاً، أو خرزاً ملوّناً...

والدّهْن معدنيّ

طيف جناثريّ

يدخل كالمنشار

في جسد العالم

كالملاءة



يَطْرَحُهَا الْمَافُونُ وَالْعِيَارُ  
عَلَى جَفُونِ أَرْضِكَ الْمَضَاءِ  
(... وهذه سماءُ خضرَاءَ من ياقوتةِ خضرَاءَ فيها

رَجُلٌ طَوِيلٌ  
تَلَقَّاهُ مِدْرَعَةٌ  
وَشَعْرُهُ يَكَادُ أَنْ يَغْطِيَ  
سَاقِيهِ ...

- يَا جَبْرِيلُ

مَنْ هُوَ؟

- هَذَا صَبُوحُ الْمُفَضَّلِ الْكَلِيمِ  
مُوسَى بْنُ عُمَرَانَ - اقْتَرِبْ وَسَلِّمْ .  
سَلِّمْتُ ، قَالَ مُوسَى : يَزْعُمُ إِسْرَائِيلُ  
أَنِّي أَنَا الْمُفَضَّلُ الْكَرِيمُ .  
ثُمَّ دَعَا لِأُمَّتِي بِالْخَيْرِ ، ثُمَّ اصْطَفَتْ الْمَلَائِكَةُ  
أُمَّتَهُمْ ، صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ  
بِهِمْ ، عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ... )

وَالدَّهْنُ مَعْدَنِي  
بِخَرِّ مِنَ السَّوَادِ -  
الْقَاعُ نَافُورَةٌ

مِن ذَهَبٍ، وَالسَّطْحُ قَاذُورَةٌ  
وَالْأَرْضُ كَالْمَرَايَا،  
مَكْسُورَةٌ، وَالشَّمْسُ هَسَّهَاتٌ  
تَنَائِي، وَآبَارٌ مِنَ الرَّمَادِ . . .  
هَلْ قَلْتُ كُلُّ شَيْءٍ ؟

( . . . رَأَيْتُ بَاباً كَتَبَتْ عَلَيْهِ  
كِتَابَةٌ قَرَأْتُهَا  
فَأَنْفَتَحَ الْبَابُ، رَأَيْتُ خَلْفَهُ  
جَهَنَّمَ،  
رَأَيْتُ غَابَاتٍ مِنَ الْحَيَاتِ  
رَأَيْتُ بَاكِيَاتٍ  
يَغْرُقْنَ فِي الْقِطْرَانِ عَالِقَاتٍ  
يَغْلِينَ كَالْقُدُورِ مَوْثِقَاتٍ  
يُطْرَحْنَ لِلْأَفَاعِي . . .  
- هَذَا جَزَاءُ نِسْوَةٍ -

يُظْهَرُ لِلْغَرِيبِ . . . هَذِي امْرَأَةٌ  
صَوَّرْتُهَا كَصُورَةِ الْخَنْزِيرِ، جَسْمُهَا حَارٌّ  
لَأَنَّهَا لَمْ تَغْتَسِلْ مِنْ حَيْضِهَا . . .  
- هَذَا عِقَابُ امْرَأَةٍ تَعْشَقُ غَيْرَ زَوْجِهَا -

- هذا جزاء امرأة  
لا تُحَسِّنُ العشرةَ أو لا تحسِّنُ الوضوءَ، لا  
تصليّ...)

رسمتُ ظلَّ القمر الطالعِ في طريقي  
بلهفتي،  
ربطتُ كلَّ جرحٍ  
في وجهه بثوبي العتيق .  
... وسرتُ في بُحيرة الأغاني  
نيلوفرًا، أغاني  
ترشَّحُ من قرارة التَّاريخ، من سريرة المكانِ  
والتفتُ الأشجارُ حول وجهي  
والتفتُ الطريقُ  
كان النهارُ حجراً يسيرُ، كلُّ حجرٍ إشارة  
وكان كلُّ حجرٍ فلاحُ  
يغسل وجهَ الحقلِ أو يُطارِدُ الرِّيحَ .  
يسافرُ الترابُ في خُطاهُ  
ينام يستفيقُ  
وكان كلُّ حجرٍ شرارة .  
(... وها أرى رجالاً

تمشي على ظهورهم

حجارة...)

وسرتُ غمولاً على شرارة

أحلم كي أسقط في الظلام

شمساً

وكي تدور

حولي

أرضُ الحلم الخفية

أحلم كي أكتب عن صداقة العصفور

عن وطنٍ أحنَّ من قنديل

ينسجُ كلَّ لحظة

من دمه، منديل

أغنيةً للخب، أو تحية...)

(... طوّفتُ في زبرجدٍ

أخضر، في مدارج الياقوت، ثم جاءني الملائكة

برفرف

فسارَ بي كسهم.

وحطّ بي في بحرٍ من نور

أبيض خلف بحرٍ من نور

أَصْفَرَ خَلْفَ بَحْرِ مِنْ نَوْزٍ  
أَسْوَدَ، فَاسْتَوْحِشْتُ وَاسْتَعْتْتُ . . . )

وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي الْأَزَقَّةِ وَالزَّوَايا  
أَمْشِي كَزَيْنِ الْعَابِدِينَ -  
عَبَّاتُ بِالْخَبْزِ الْجَرَابُ  
وَرَكَضْتُ مِنْ بَابٍ لِبَابٍ  
أُزْكِي لَهَيْبِ الثَّائِرِينَ، أَسَدُ جُوعِ الْجَائِعِينَ . . .

( . . . ) وَأَنْطَلَقَ الرَّفْرَفُ، ضَارٍ يَعْلُو  
وَحَطَّنِي فِي حَضْرَةِ الْإِلَهِ - مَا رَأَيْتُهُ  
لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ، وَمَا سَمِعَتْهُ  
لَمْ تَسْمِعْهُ أُذُنٌ . . .  
نُودَيْتُ: لَا تَخَفْ.  
خَطُورُ خَطْوَةٍ كَأَنِّي خَطُورُ أَلْفِ عَامٍ  
أَحْسَسْتُ حَوْلَ كَتْفِي  
يَدًا، وَلَمْ تَكُنْ مَحْسُوسَةً،  
فَأَوْرَثْتُ قَلْبِي كُلَّ عِلْمٍ . . . )  
- مَوْلَايَ زَيْنِ الْعَابِدِينَ . . .  
- أَنَا لَسْتُ مَوْلَى،

لستُ كهفًا للأنين  
أنا جمرٌ ثورتك... انفجر  
غيرَ نداءك، وانفجر...

... ورأيتُ أني صبيحةُ تَرتُ الضحايا  
ورأيتُ أنَّ الجوعَ يرفعني تحيةً  
لدم الضحايا  
للبائسين الطالعين من الأزقة والزوايا  
موجاً يضيء العالمين...

- مولاي زين العابدين  
لغتي تنوء كأنَّ فوق حروفها حجراً وطين  
فبأيَّ جائحةٍ أطوفُ، بأيَّ موجٍ أستعين؟  
(... - وانطقاً المصباحُ

في آخر الشارع،  
واستدارتُ

غمامةً، وذابتُ  
في أول الشارع واشرايتُ  
حمامةً، وماتت  
في لفطة الشارع -  
- من هناك؟

وارتجفنا

كالخيطِ

- من هناك؟

وانكسرنا

كالغصن

- من هناك؟

وانجحرنّا

في حائطٍ

دخلنا

في حفرةٍ

وغبنا ...

- هل قلت؟

- لا

- خذوه ...

- هل كنت؟

- لا

- تَبَعْنَا خَطَاهُ ...

- قَيِّدُوهُ ...

ونامت المدينة

وَعُلِّقَتْ أَبْوَابُهَا

وَنَمْنَا

مَنْ أَيْنَ؟ لَا مِفْتَاحَ

يُفْتَحُ أَيَّ بَابٍ

فِيهَا،

وَلَا مُصْبِحَ

يُضِيئُهَا،

وَلَيْسَ فِي مَدَاهَا مُهَاجِرٌ شَهِيدٌ

يَرْفَعُ فِي سَاحَاتِهَا جَبِينَهُ . . .

وَهَذِهِ بِلَادِي

مَعَ رَجُلٍ آخَرَ مِنْ سُرْدَاقِ الْغَزَالِي

تَنَامُ - لَيْسَ وَجْهِي

حَرَفًا، وَلَا ذِرَاعِي

تَكِيَّةً،

وَهَذِهِ بِلَادِي

فَخِذَانِ مِنْ صَلَاةٍ

مَسَافَةً مِنْ شَرِّهِ وَتِيهِ

أُبَحِّثُ فِي رَمَادِهَا

عَنْ دُمِّي الْآخَرِ، عَنْ شَبِيهِ . . .



(... وكان سيفُ النعمة المَجْبُولُ بالدماءِ

معلّقاً بالعرشِ ، قلتُ : سيّدي

إرْقعه عن بلادي ...

فقالَ : تمَّ الحكم والقضاءُ

وسوفَ يفني شعبك الحنيفُ مثلَ زَبَدٍ بالطعنِ

والطّاعونِ

لكنّكَ المفضَّلُ الحبيبُ - آدمُ

خَلَقْتُهُ من طِينٍ

وكانَ إبراهيمُ لي خليلاً

وأنتَ لي حبيبُ

وموسى ،

كَلِمَتُهُ وبيّننا حجابُ

وأنتَ تلقاني بلا حجابٍ

وإنْ أَكُنْ خَلَقْتُ من كلامي

عيسى ، فقد شَقَقْتُ من أسمائي

إِسْماً لَكَ ، اقترنتَ بي ،

أَعْطَيْتُكَ الكوثرَ

والحوضَ والشّفاةَ الكُبرى ...)

أسمعُ صوتَ صخرة قديمة

تضربُ وجهَ الشرقِ  
يرتسم الخالقُ في شقوقها والخلقُ  
أسمع صوتَ الزّمنِ : البغايا  
والقبرُ والمعاد  
وحائطُ يضحك أو يصلي  
لليلة شهرزاد . . .  
. . . - والتّيلُ والفراتُ  
عينان مملوءتانُ  
بالشمس والأشعره  
وبردى يبكي  
تبيس في صوته  
الأشجارُ والأغنياتُ  
والغُوطَة المرضعةُ  
رمى على وجهه  
ملاءة . . .  
ينامُ أو يقرأُ في بستان . . .  
( . . . - دُهِشتَ؟ هذي قُبّة،  
سريرٌ من عُنبر، عليه  
حورية

تُضيء من خنصرها الحقولُ والفصولُ  
هذي لمن يموت شاهداً  
بأنك الرسولُ . . . )

سمعتُ صوت الزمن - الجريمة :  
رائحةُ النّسرينُ  
أغنيةُ الشمس على الأسوارِ  
فراشةٌ تهرب من تشرينِ  
إلى غدٍ يحرقه نوارُ  
في أرضه الكريمة .  
من أين هذا الزّمنُ المشقُّ المدهونُ  
بالنّسم الباريء ،  
بالطّاعونُ ؟  
من أين ؟ كيف تصبح الرّبابه  
قرنين ، أو ذبابه ؟  
سمعتُ صوت الزمن : السّقوطُ  
لولم يك البستانُ  
جاريةً ، لكانُ  
جرادةً . . .

أعيدي  
صوتك، واستعيدي  
سماءه - ملاك  
يأتي، وهذا سلم الهبوط...

سمعت صوت الزمن... السقوط  
نحوي في الولاده  
والنهر الممدود كالوساده  
من شفتي سقراط حتى جثة الحسين.

(... ولم نزل نزل... ها وصلنا  
ودعني جبريل، قال: حدث  
بما رأيت واختفى البراق...)

حدثت،  
تم الحكم والفراق  
حدثت، كانت هامة الغزالي  
جالسة كالسيف، صيرت حجراً مبراً كطفل  
يطارد الغزالي.  
وبعد أن يرسم حول وجهه  
إشارة الوضوء والطهارة

وبعد أن يكرّر الصلاة حتّى تُصبح العبارة  
تكيّةً ومسجداً،

وبعد أن يُغالي

في مدحه - يُجلّه كالله ذي الجلال،

يرج كلّ ذرّة

في كوكب الغزالي . . .

بالرفض بالسؤال

بالفرق الحاضن كلّ رأسٍ

بنشاطٍ الغيبة والرجعة، بالإمامه

تأتي، وكلّ نجمةٍ عمامة،

بالرعد، بالأيام سابحاتٍ في مُخمل الأبد

كأنّها الأعراس أو كأنّها الجراحُ في مدينة الجسد

بالصخر والبقول

بوطنٍ يعيش فوق الأرض، لكن خارج الفصول،

بالرفض بالسؤال

بالمسجد المهدوم، بالحجاج وهو يصلب المدينة

بعابله تجتره التكيّة

بالخوف، بالتقيّة

بقبّة تجثم كالوطواط أو تهتز كالسفينة

حاملةً بقايا  
من ورق الجنة أو من نعمة الآله، بأخسافٍ  
يغسل لون الأرض ، بالبنفسج المقلوع  
من أول الزمان ، بالنبوغ  
مرتطماً بالوقت مُستضيئاً  
كأنه الحصاد أو كأنه المصباح ، -  
بالقبول والسؤال  
بكل هذا العالم اليابس كالنبات  
الأخضر كالنبات  
رَجَجْتُ كُلَّ ذَرَّةٍ  
في كوكب الغزالي ،  
رفضتُ وانفصلتُ  
لأُثني أريد وصلاً آخراً ، قَبُولاً  
آخر مثل الماء والهواء  
يبتكر الإنسان والسماء  
يُغَيِّرُ اللَّحْمَةَ وَالسَّدَاةَ وَالتَّلْوِينَ  
كأنه يدخلُ من جديدٍ  
في سفر النشأة والتكوين .

لِكوكب الغزالي  
لهذه المقابر المبنوثة الأشباح والطقوسُ  
في نَفَقِ الهواءِ والتَّاريخِ ، في الأقدامِ والرؤوسِ ،  
لهذه الجدرانُ  
للكتبِ المدهونة الأوراقِ والرفوفُ  
بالْبَطْنِ والشَّهوةِ والأسنانُ  
لهذه الأنصابِ والأعلامِ والسِّيوفِ  
لهذه المساجدِ الكنائسِ الدانية القُطوفِ  
لهذه الدُّروبُ  
مرصوفةً بالليلِ ،  
لِلتَّكَايَا  
علامةِ الأسرارِ والغيوبِ  
لكلِّ هذا الزَّمنِ المكدَّسِ المشحونِ  
بالرَّمْلِ والسُّعارِ والطاعونِ  
أعرفُ ما تقولُ لي  
يا كوكباً يسكنُ وجهَ الشَّرْقِ  
أعرفُ ما تودُّ أن تقولَهُ  
لِلشَّرْقِ ،  
هذا السَّيِّدِ المصلوبِ

هذا الشَّاعِرِ المَجْنُونُ،  
وها أنا أَغْنِي  
آتِي كَمَا تَقُولُ لِي  
يَا كوكِبًا يَسْكُنُ وَجْهَ الشَّرْقِ  
مِنْ يَسِّ الغَابَاتِ مِنْ دُجْنَةِ الآبَارِ وَالزَّوَايا  
مِنْ جَوْفِ عَنكَبُوتٍ  
مِنْ قَمَرٍ يَسُودُ مِنْ حَضَارَةٍ تَمُوتُ  
آتِي كَمَا تَقُولُ لِي  
يَا كوكِبًا يَسْكُنُ وَجْهَ الشَّرْقِ  
فِي الشَّمْسِ فِي حَنَاجِرِ الأَطْفَالِ فِي النَّوَارِسِ المَلِيئَةِ  
بِالْبَحْرِ، بِالشَّوْاطِيءِ المَضِيئَةِ  
أَفْتَحْ كُلَّ بَابٍ  
أَشَقْ كُلَّ رَمْسٍ  
بَغْضَبَةِ الخَالِقِ - بِالرَّجَاءِ أَوْ بِالْيَاسِ  
بثُورَةِ النَبِيِّ  
مَسْكُونَةٌ بِالشَّمْسِ  
مَسْكُونَةٌ بِالفَرَحِ الكَوْنِيِّ.



## تعويضات لمخائن الغزالي



## ١ - جسد الحصاة

هذا الذي سَمَّيْتُهُ التَّارِيخَ والبدايةُ  
أَمْلَسُ مُسَدَّودُ بلا حياةٍ  
كجسد الحصاة،  
هذا الذي يَمْنَحُنَا الرَّعَايَةَ  
سَرِيرُ عَنكَبُوتٍ  
والماء في العاصي وفي الفراتِ  
جَبَرْتُ، وصَحْرَاءُ الخُطَى كَلَامٌ  
أَوْ وَرَقٌ، لَا فَرْقَ، وَالْقَلَاعُ  
جَارِيَةٌ مَرْبُوطَةٌ، وَلَيْلُ  
أَجْرَدُ: لَا حِلْمَ، وَلَا شُعَاعُ.  
لَا، لَسْتُ أَقْحَوَانُ  
أَوْ بَاقَةٌ مِنْ زَهَرِ الْأَخَوَةِ  
وَلَسْتُ إِيحَاءَ وَلَا نَبْوَ  
أَوْ نَجْمَةٌ تَسْهَرُ عِنْدَ الْجَسْرِ

تقرأ ماء النهر. . .

وليس فيك سائلٌ

وليس فيك قارئٌ

فأنت مرزبانٌ

يصنعُ من جنازة الضحية

خبزاً، ولست ناهد الصبيّة

حين يكون الخبّ مهرجاناً.

. . . - جلدة أنت، لست أكثر من جلدة مغزى وإن

تناسلت واستأجرت زوجاً وجئت للناس في ثوب دمقس،  
وسحنة آدمية.

وأنا الدهرُ والطريقُ،

أنحض البحر - موتى سفينة، وبقاياي

انفجارٌ يجيء، أو أبجدية. . .

## ٢ . لو سكنت

... لو سكنت، كما قلت، صوتي

لكنني اهتديت

للطريق ومعراجها واكتسبت

حلة السالكين

يشربون الشموس وأبعادها

ولكنني ارتويت

لو سكنت، كما قلت، صوتي

كنت العرافة

ومناراتها القزحية

بين أيامنا الورقية

وثلوج المسافة،

ولكنني اهتديت...

### ٣ . القاعدة

- كي تستوي ، كي تكون  
خُذْ يَدَهَا مِنْ هُنَا  
خُذْ وَجْهَهَا ، وَابْتَكِرْ  
شِرَارَةً وَاسْتَبِخْ  
زُنَّارَهَا ، وَالْكِتِفَ الْجَامِدَةَ  
وَاشْدُدْ إِلَى الْيَسَارِ  
مِخْوَرَهَا الْحَرُونَ  
وَحَرِّكِ الزَّاوِيَةَ الْقَاعِدَةَ  
وغير الأساسِ وَالْحِجَارِ  
وغيرِ القَاعِدَةِ . .

## الممثل المستور





## ١ . قمر العوطة

يَدْبُ في عروقي  
صَحْوٌ، وفي رمادي،  
أقومُ والعالمُ حول وجهي بيتٌ، وكلُّ  
زَهْرَةٍ قصيدة .  
يَرْتَجِفُ التاريخُ كالطريدة  
يَتَتَبَعُ التاريخُ

- أي نارَ  
أطفأتُ، أي نارِ  
أشعلتُ يا مهيار؟

هبطتُ في منارة  
حللتُ في قيثار  
وكانت الأوتارُ مثلَ جرحٍ ينزُّ، والحياةُ  
سجادةً في القصر، والتاريخُ مثلُ خرقةٍ يحرقها الفُراتُ

وكلّ ما للأرضِ والسّماء من طيورٍ  
فاكهة تنضجُ - واختلطنا  
وجهي وجهُ الشّارعِ ، الفرسانُ والحُصونُ  
والزّمنُ الملفوفُ حولَ النَّاسِ كالوشيعه  
والجامعُ الواقفُ كي تُسافر الطّبيعَه  
أو يرجع الأذانُ .

وقائلٌ يقولُ :  
قرأتُ أفلاطونُ  
عرفتُ ما يكونُ  
سيّدةُ القُصور قهرمانه  
والقمرُ الطّالع قهرمانُ  
يسكنُ في حانوتُ  
يولّدُ ، حول فخذِها ، يموتُ . . .

وابتدأ الطّوفانُ  
واختلطَ المصبُّ - قاسيونُ  
نَهْرُ

وتحتَ بردى طريقُ  
لراهبٍ كان اسمهُ بحيره

وَلِلْكَلامِ شَجَرٌ، وَلِلْخُطى حَنِينٌ  
وَاللهُ فِي الْبُيُوتِ  
يَمُوجُ كَالْبَحِيرَةِ.

وَابْتَدَأَ التَّارِيخُ، وَابْتَدَأْنَا -  
... - يَا أَيُّهَا الْمَمَثَلُ الْمَسْتَوْرُ يَا صُوفِيَّنا الْكَبِيرِ  
هَنا نَحْنُ ذَاهِبُونَ

وَيَعْلَمُ اللهُ مَتَى نَجِيءُ  
نَعْرِفُ أَنَّ اللَّيْلَ سَوْفَ يَبْقَى  
نَعْرِفُ أَنَّ الشَّمْسَ سَوْفَ تَبْقَى  
لَكُنَّا نَجْهَلُ مَا يَكُونُ  
مِنْ أَمْرِ قَاسِيُونَ -

هَذا النَّبِيُّ الْأَصْفَرُ الْمَاضِي  
وَمَا يَكُونُ الْمَشْهَدُ الْأَخِيرُ  
يَا قَمَرَ الْغُوطَةِ، يَا صُوفِيَّنا الْكَبِيرِ.  
أَصْرَخُ مِنْ دَهْلِيْزُ

فِي قَلْعَةِ الرَّمَادِ - صَرْتُ جَرْحاً  
فِي جَسَدِ الْقَلْعَةِ، صَرْتُ غِيماً  
يَعَانِقُ الشَّرْفَةَ، وَالْإِفْرِيزُ،  
أَصْرَخُ مِنْ دَهْلِيْزُ:

أحتقر الأرض التي تكون  
لؤلؤة في جوف بلوره  
أحلم بالحدود بالبلدان  
مفتوحة كالبحر، مندورة

لون الحاجز العبودة  
والبرص الشمسي، والسكته، والبرودة  
في جسد الإنسان.

## ٢ . الغائب قبل الوقت

أَسَأَلْتَنِي؟ مُتْ أَوَّلًا، أَوْ فَاشْتَعِلْ كَالجُرْحِ

واهبط في رمادي

وَأَسَأَلُ . . . أَتَسَأَلُ عَنْ بِلَادِي؟

جسدي بلادي.

من أنت؟ هل واكبتْ هَرَوَلَةَ الكواكبِ

وَأَنحَدَرْتَ مَعَ السَّيُولِ

طَلَعْتَ فِي شَفْتَيْ جِدَارٍ

زَهْرَةٍ؟

أَلْبَسْتَ أَجْنَحَةَ الْقَرَّاشَةِ، غَبِثَ فِي أَحْشَاءِ صَبْحِهِ

وَبَسَطْتَ رَاحَتَكَ، افْتَرَشْتَ الشَّمْسَ،

صِرْتَ هَمِيسَ غَابَةٍ

أَسَمِعْتَ أَجْرَاسَ الْجِبَالِ تَرْنُ فِي عُتْقِ السَّحَابَةِ؟

مَنْ أَنْتَ؟ آ، هـ . . . ذَاتَ مَرَّةٍ

كُنَّا، مَشِينَا ذَاتَ مَرَّةٍ:

أَنْتَ عَبْدُ الطَّرِيقِ  
خِرْقَةٌ فِي الطَّرِيقِ .  
أَنْتَ جَبَانَةٌ وَعَادَهُ ...  
وَأَنَا الْفَتْحُ وَالرَّيَادَةُ ...

وَتَحْتَ أَهْدَابِي مَدَى أَحْصَنَةٍ  
تَشْبِخُ، وَالْأَشْبَاحُ وَالْأَمَكَنَةُ  
قَوَافِلُ لِلْخَبْزِ وَالْبَقُولِ  
وَالزَّهْرُ الطَّالِعُ وَالْأَنْهَارُ وَالسُّهُونُ  
أَحْصَنَةٌ تَشْبِخُ، وَالصَّهِيلُ  
جَرَحُ، وَلِلْجِبَالِ وَسُوسَاتُ ...

نَسَجْتُ مِنْ مَعَارِجِي  
أَجْنَحَةً لِلصَّبْرِ  
وَاحْتَضَنْتُ الْيَنْبُوعَ وَالْجُمَانَةَ الْبَيْضَاءَ وَالْمَرَايَا:  
يَا شَجَرَ الْأَيَّامِ أَيَّ شَمْسٍ  
لَبَسْتُ فِي مَدَارِي  
يَا شَجَرَ الدُّوَارِ، -  
وَقُلْتُ - هَذَا نَارُنَا، وَهَذَا  
مُرَادِقُ الْأَخْوَةِ

وَالزَّمَنُ الْأَعْجَفُ قَرْنُ ثَوْرٍ يَمُوتُ

وَالنَّبْوَةُ ، -

يَا قُرَّاءَ الْعَالَمِ النَّبْوَةُ

فَقُرُّ،

وَكُلُّ فَقِيرٍ

أَوَّلُهُ الْفَضَاءُ -

... - «رَافِقِيهِ

يَا نَجْمَةَ السُّؤَالِ، عِلْمِيهِ الْإِعْصَارَ وَالْهُبُوطَ

فِي الْأَعَالِي ...»

وَلَيْسَ لِي إِلَّا دَمِي وَوَجْهِي

وَلَيْسَ لِي حَنِينٌ

إِلَّا لِنَارِ الْحُلُمِ ...

« - انْجَحَرَتْ؟

مَنْ أَنْتَ؟

آ، هَا ... ذَاتَ مَرَّةٍ ...

مُتُّ أَوَّلًا ... :»

وُلِدْتُ فِي عِبَادَةِ النَّبِيِّ

وَجْهِي نَارُ زَوْجَةٍ

تحلمُ : « كيف تسقطُ السُّيوفُ  
كيف يرجعُ الجنديّ . . . »  
وجهي مثلُ كوكبٍ  
يحضُن كلَّ جامدٍ وميتٍ وحيٍّ .  
أحلمُ باسمِ العُشبِ  
حين يصيرُ الخبزُ كالجحيمِ  
حين يصيرُ الورقُ الميتُ في كتابهِ القديمِ  
مدينةً للرُّعبِ

أحلمُ باسمِ الطينِ  
كي أمحوَ الرُّكامَ  
كي أغمرَ الزَّمانَ أستعينُ  
بالتَّسمِ الأوَّلِ ، أستعيدُ  
مزماري الأوَّلَ  
كي أغيرَ الكلامَ .

والحلمُ اللُّونُ وقوسُ اللُّونِ  
بعدَ رماذِ الكونِ  
يُوقظُ هذا الزَّمنَ النَّائمَ في بُحيرةِ الجليدِ  
أخرسَ كالمسمارِ



يُفرغه كجُرْنٍ  
يُسلمه للنَّارِ  
لِلزَّمنِ الطَّالِعِ من خميرة الأجيالِ  
في قَدَمِ الأَطْفالِ -  
أَلْزَارِعِينَ بِذَرَّةِ الْبَكَارَةِ  
أَلْحَامِلِينَ الضَّوْءَ وَالشَّرَّارَةَ.

عَسَلْتُ رَاحَتِي من حَيَاتِي -  
من هذه الفَراشَةِ  
صَالَحْتُ بَيْنَ الدَّهْرِ وَالْهَشَاشَةِ  
كي أَهْجِرَ الأَيَّامَ ، كي أَسْتَقْبِلَ الأَيَّامَ  
أَعْجَنُهَا كَالْخَبْزِ  
أَغْسِلُهَا من صَدَا التَّارِيخِ وَالْكَلامِ  
أَذُوبُ في نَسِيجِهَا حَرَارَةً أَوْ رَمْزًا ،  
فَفي دَمِي دَهْرٌ من السَّبَايَا  
دَهْرٌ من الْخَطَايَا  
يَجْرُفُهُ مَوْتِي ، وَحَوْلَ وَجْهِي  
خَضَارَةٌ تَمُوتُ .  
وَهَا أَنَا كَالنَّهْرِ

أجهلُ كيف أُمسك الضفافُ  
أجهلُ غيرَ التبعِ والمصبِّ والمطافِ  
حيثُ تجيءُ الشمسُ  
كالعُشْبَةِ السَّاحِرَةِ السَّوداءِ  
حيثُ تشبُّ الشمسُ  
كالفرسِ الحمراء  
حيثُ تصيرُ الشمسُ  
عَرَّافَةَ الشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ  
عَرَّافَةً، أَوْ أَسَدَاءَ، أَوْ نَسْرَ  
ينامُ كالقِلَادَةِ  
فوقَ جبينِ الدَّهْرِ.

## مرايا للممثل المستور



## ١ . مرآة للنوم

البطلُ السَّاهِرُ مثلَ موجةٍ  
يَنَامُ  
وأرضنا صبيَّةً  
كانت بلا رأسٍ ولا وسادةٍ تَنَامُ  
والفكرةُ الفَرَّاسَةُ الحمراءُ  
كانت جثَّةً تَنَامُ  
يا رَمَدَ الأعضاء يا مسالِكَ الرِّطوبَةِ  
في جسدي - في جسد العروبة  
من أين ، كيف أوقظُ النَّيَامَ؟

## ٢ - مِرَاةُ السُّؤَالِ

سألتُ، قِيلَ: العُصْنُ المغطى بالنَّارِ، عصفورٌ.  
وقيلَ: وجهي  
مَوْجٌ، ووجهُ العالمِ المَرَايا  
وحسرةُ البحَّارِ، والمنارةُ  
وجثتُ، والعالمُ في طريقي  
حَبْرٌ، وكلُّ خَلْجَةٍ عباره  
ولم أكن أعرفُ أنَّ بيني وبينه جسراً من الأخوة  
من خُطواتِ النَّارِ والنُّبوةِ  
ولم أكن أعرفُ أنَّ وجهي  
سَفِينَةٌ تبحرُ في سَراره .

### ٣ . مَرَاةُ لِفَارِسِ الرِّفْضِ

- ١ -

حُلْمٌ بثَلَاثَةِ أَقْمَارٍ  
يَتَحَطَّمُ ، والجدرانُ رُسُومٌ  
تَقْطُرُ حَبْرًا ،  
والأشجارُ . . .

- ٢ -

كُلُّ يَنَابِيعِ القُرَى عِبَّاتٌ  
جَرَارِهَا ،  
وَانكسرت فوقهُ .

- ٣ -

كَانَ وراءَ صَخْرَةٍ  
مُدَّثِرًا بِالرِّفْضِ

مظلاً بشمس قاسيون  
يغوص، محمولاً على سحابة،  
إلى حنايا الأرض  
فارسٌ هذا الزمنِ المعجُونُ  
بالشمس والكآبة.



## ٤ . مرآة للقرن العشرين

تابوتٌ يلبس وجه الطفلِ  
كتابٌ  
يُكتبُ في أحشاء عُرابٍ  
وحشٌ يتقدَّمُ، يحملُ زهرةَ  
صخرةِ  
تتنفَّسُ في رِثْيٍ مجنونٍ :  
هُوذا  
هُوذا القرنُ العشرون :

## ٥ . مرآة النجوم

أجنحة،  
لكنّها من شمع،  
والمطرُ الهاطلُ ليس مطراً  
بل سُفْنٌ لِلدَّمَعِ .

## ٦ . مِراة لمعاوية

شَعْرَةٌ تَقْرَأُ الرِّياحَ وتَبْنِي  
مَلَكُها فِي تَفْجَرِ البركانِ  
فِي زَفِيرِ الأمواجِ .  
وَالزَّمَنِ الهائِمِ بَيْنَ الإِصْصارِ والرَّبانِ .

## ٧ - امرأة لخالدة

١ - الموجة

خالده

شَجَنُ ثُورِقُ الغصونِ  
حولَه ،

خالده

سَفَرُ يُغْرِقُ النَّهَارَ

في مياهِ العيونِ

موجةٌ عَلِمْتُني

أَنَّ ضَوْءَ النُّجُومِ

أَنَّ وَجَهَ الغيومِ

وَأَنِينَ العُبارِ

زهرةٌ واحده . . .

٢ - تحت الماء

نمنا في ثوبٍ منسوجٍ

من عَنَابِ اللَّيْلِ - اللَّيْلُ هَبَاءٌ، والأَحْشَاءُ  
تهْلِيلُ دَمٍ، إِيْقَاعُ صَنُوجٍ  
وبَرِيقُ شَمُوسٍ تَحْتَ الْمَاءِ.  
وَاللَّيْلَةُ حَبْلِي . . .

٣ - الضِّيَاع  
مَرَّةً، ضَعْتُ فِي يَدَيْكَ، وَكَانَتْ  
شَفَتِي قَلْعَةً تَحْنُ إِلَى فَتْحِ غَرِيبٍ  
وَتَعَشَّقُ التَّطْوِيقَا.  
وَتَقَدَّمَتْ،  
كَانَ خَصْرُكَ سُلْطَانًا،  
وَكَانَتْ يَدَاكَ فَاتِحَةَ الْجَيْشِ،  
وَعَيْنَاكَ مَخْبَأً وَصَدِيقًا  
وَالْتَحَمْنَا، ضَعْنَا مَعًا، وَدَخَلْنَا  
غَابَةَ النَّارِ - أَرْسَمَ الْخُطُوبَةَ الْأُولَى إِلَيْهَا  
وَتَفْتَحِينَ الطَّرِيقَا . . .

٤ - تَعَبٌ  
أَلْتَعَبُ الْقَدِيمُ حَوْلَ الْبَيْتِ  
صَارَتْ لَهُ جَرَارٌ  
وَشَرْفَةٌ

يَنَامُ فِي أَكْوَاخِهَا، يَغِيبُ، كَمْ قَلَقْنَا  
عَلَيْهِ فِي أَسْفَارِهِ، رَكَضْنَا  
نَطُوفُ حَوْلَ الْبَيْتِ  
نَسْأَلُ كُلَّ عَشْبَةٍ، نُصَلِّي  
نَلْمَحُهُ، نَصِيحُ: كَيْفَ، مَاذَا، وَأَيْنَ؟ كُلُّ رِيحٍ  
أَتَتْ  
وَكُلُّ غَصْنٍ  
أَتَى  
وَمَا أَتَيْتُ... .

#### ٥ - الموت

بَعْدَ هَذَا الثَّوَانِي يَجِيءُ الزَّمَانُ الصَّغِيرُ  
وَتَجِيءُ الْخَطَى وَالْدُرُوبُ الْمَعَادَةُ  
بَعْدَهَا تَهْرُمُ الْبُيُوتُ  
بَعْدَهَا يُطْفِئُ السَّرِيرُ  
نَارَ أَيَّامِهِ وَيَمُوتُ  
وَتَمُوتُ الْوَسَادَةُ.

## ٨ . مرآة لوضاح اليمن

(أصحوت عن أم البنين . . . ؟)  
وضّاح اليمن

وضّاحُ ، هل صحوتَ ، هل رأيتَ  
حيث انتهى الماضي وما انتهت  
عباءتي ، ورأسي المسروق؟  
فحصتُ كلَّ دبرٍ  
نقبتُ كلَّ بيتٍ  
فتّشتُ كلَّ دنٍّ  
سألتُ قهرمانةً للجنّ . . .  
فأمس ، والمفتاحُ  
يفتح بابَ بيتها  
أنزلت في صندوقٍ  
مثلك يا وضّاحُ  
وأنزل الصندوقُ

ففي البئر...  
كَانَ صَوْتُ

يقول: «كلّ أرضٍ  
بئر؟  
وكلّ حبّ  
يعيشُ - كلّ حبّ يموتُ -  
في صندوق».

سمعتني؟ صحت؟  
كبت من جديد  
ونمت؟ كيف نمت؟  
... والنَّهر لا ينامُ  
وقاسيون حارسُ كالدهر لا ينامُ  
والنَّخلة الهدباء لا تنامُ  
والعشب لا ينامُ  
والخبزُ ليس نوماً  
والحبّ ليس نوماً...



## ٩ - امرأة لبيروت (١٩٦٧)

- ١ -

ألسَّارِعُ امرأة  
تقرأ، حين تخزين، الفاتحة  
أو ترسمُ الصليبَ  
والليل، تحت نهدها،  
مجدَّبٌ غريبٌ  
عباً في كيسه  
كلَّابه الفضية النائحة  
والأنجمَ المطفأ

والسَّارِعُ امرأة  
تعضُّ كلَّ عابرٍ  
والجملُ النَّائمُ حول صدرها  
يفغني

للتفط (كلّ عابرٍ يغني)  
والشارع امرأة  
تسقط في فراشها  
الأيام والجردان  
ويسقط الإنسان.

- ٢ -

ألوردُ مرسومٌ على الأحذية  
والأرض والسّماء  
صندوقُ ألوانٍ -  
وفي الأقبية  
يرتسم التاريخ كالتابوت  
وفي أنين نجمةٍ أو أمةٍ تموت  
يضطجع الرجال والأطفال والنساء  
بلا سراويل  
ولا أعطيه ...

- ٣ -

جبانّة،

وصرة في الحزام  
من ذهب،  
وامرأة خشخاشة تنام  
في حضنها أميراً أو خنجر  
ينام.

## ١٠ - مرآة الزلاجة السوداء

- هل قلتَ: وجهي مركبٌ، جسدي جزيرةٌ  
والماء أعضاءٌ تحنُّ؟  
- وقلتَ: صدرك موجةٌ  
ليلٌ يهزُّ تحت نهدي...  
والشمسُ محبسي القديمُ الشمسُ محبسي الجديدُ  
والموتُ أغنيةٌ وعيدٌ؟  
أسمعتني؟ أنا غير هذا الليل، غير سريرهِ اللزجِ المضاءِ  
جسدي غطائي -  
نسجُ حبكتُ خيوطةً  
بدمي ونهتُ، وكان في جسدي متاهي  
أعطيتُ للورق الرياحَ، تركتُ أهدابي ورائي  
حاجيتُ، من غضبي، إلهي  
وسكنتُ لإنجيل الرضاغة،  
كي أكشفَ الحجر المسافر في ردائي...

أعرفتني؟ جسدي غطائي  
والموتُ أغنيتني وقصرُ دفاتري  
والجبرُّ لي قبرٌ وقاعه  
كُرَّةٌ تقاسمها اليبابُ وشيخَتْ فيها السماءُ  
زلَّاجَةٌ سوداءُ يسحبها التفجُّعُ والبكاءُ .  
أتبعيني؟ جسدي سمائي

أشرعتُ أرْوَقةَ المدى  
ورسمت أهدابي ورائي  
طُرْقاً إلى وثنٍ عتيق  
أتبعيني؟  
جسدي طريقي .

## ١١ - امرأة لجسد عاشق

الْجَسَدُ الْعَاشِقُ ، كُلُّ يَوْمٍ ،  
يَذُوبُ فِي الْهَوَاءِ - صَارَ عِطْرًا  
يَدُورُ ، يَسْتَحْضِرُ كُلَّ عِطْرِ  
يَأْتِي إِلَى سَرِيرِهِ  
يُغَطِّي  
أَحْلَامَهُ ، يَنْحَلُّ كَالْبُخُورِ  
يَعُودُ كَالْبُخُورِ .  
أَشْعَارُهُ الْأُولَى عَذَابٌ طِفْلٍ  
يَضِيعُ فِي دَوَامَةِ الْجُسُورِ  
يَجْهَلُ أَنْ يَظْلُ فِي مِيَاهِهَا ، وَيَجْهَلُ الْعُبُورُ .

## ١٢ . امرأة لبنة الخريف

هل رأيت امرأة  
حملت جثة الخريف؟  
مزجت وجهها بالرّصيف  
نسجت من خيوط المطر  
ثوبها  
والبشر  
في رماد الرّصيف  
جمرة مطفأة.

### ١٣ - مَرَاة لِأَبِي الْعَلَاءِ

أذكر أنني زرتُ في المعرَّة  
عينيكَ، أصغيتُ إلى خُطَاكَ  
أذكرُ أنَّ القبرَ كان يمشي مقلِّداً خُطَاكَ  
وكان حول القبرِ  
صوتُكَ، مثلَ رَجَّةٍ، ينامُ  
في جسد الأيَّامِ أو في جسدِ الكلامِ  
على سريرِ الشَّعرِ

ولم يكن هناك والداكَ  
ولم تَكُ المعرَّةُ . . .



## ١٤ - مرآة العين والزمن

غَنَيْتُ، قلتُ لأيامي : رفعتُ دمي  
مدائنًا تَلِدُ الإيقاعَ قلتُ لها  
مددتهُ عُصْنًا يشْتاقُ، يحملني  
في نُسْغِهِ، ويضِيءُ الموتَ والكفنا  
غَنَيْتُ، قلتُ لأيامي : أَبَحْتُ دمي

(وربَّ جوهر علمٍ لو أَبَحْتُ به

قيل لي : أنت ممن يعبد الوثنا)

غَنَيْتُ، قلتُ . . . فصلتُ الحُلُمَ عن هُدُبِ  
يُخِيطُهُ، ومزجتُ العينَ والزَّمنًا.

## ١٥ - مرآة أورفيوس

قيثارك الحزين، أورفيوس  
يعجز أن يغيّر الخميرة  
يجهل أن يصنع للحبيبة الأسيرة  
في قفص الموتى سرير حبّ يحنّ أو زندين أو ضفيرة  
يموت من يموت، أورفيوس

والزمن الراكض في عينيك  
يكبو، وفي يديك  
ينكسر القيثار.

المحك الآن على الضفاف  
رأساً، وكل زهرة غناء  
والماء مثل صوت،  
أسمعك الآن أراك ظلاً  
يفرّ من مداره،  
ويبدأ الطواف...

## ١٦ . مرآة الطواف

بعد نار الطواف ،  
بعد رحيق الجرح والحلم في سرير القطاف  
سطعت شهوة العلو ، تسلقت حنيني ونارهُ ، ورحلنا  
عن بلاد نَزَازة طحلبيه  
في بساط الخليقة الشفاف  
وأنا اليوم نكهة كوكبية  
أتمرأى ، وأصهر الدهر مرآة انخطاف لوجهي العراف  
للنهار المسنون كالقلب ، للفتح  
لسحر الأبعاد والأطراف .

## مرآة الطريق وتاريخ العصور

- ١ -

لا خليجُ المرايا ولا وردةُ الرياحُ:  
كلّ شيءٍ جناحُ  
طالعٌ في دمي، في الحقولِ  
سابعٌ في مدار الفصولِ  
حيثُ آخيتُ وجهي مع العشبِ واستسلمتُ خطايا  
لحنينِ المرايا  
ورأيتُ العناصرَ تبكي وتفتحُ جرح الأخواه  
بيننا، وعرفتُ الإشارةَ  
أنني أولُ البشاره  
أنني نبتةٌ من الشرق في روضة النبوة.

لا خليجُ المرايا ولا وردةُ الرّياحُ  
كلّ شيءٍ طريقٌ

أَحدودُ ورأيائها والحريقُ  
والسُدودُ، اللقاء ومعراجهُ  
الصَّوتُ، صوتيَ في راحتيّ،  
العصافيرُ تنأى وتترك أسماءها في الغصونِ  
الغصونُ وتاريخُها -

- فتحنا

وطناً آخرّاً وسرنا  
في وداع العصافير، كنّا  
لتباريحها فضاءً،  
رحلنا  
مثلها . . .  
كلّ شيءٍ طريقُ،

حُضناً مراراً، صعدنا  
في بكوريةِ الأعالي  
لابسين الرّموزَ، اصطبغنا، صبغنا غلالاتها بالأعالي  
والحمّامُ الذي يتناسلُ في وجهنا طريقُ  
والسّرَابُ ومزماره طريقُ  
كلّ شيءٍ طريقُ  
والوجوهُ التي تتناسخُ في عُبرةِ الطّريقِ

والوداعُ المرباطُ في وحشة الطريق -

- يا زمانَ المطرِ

أعطينا، وابتكر للشجر

غيمةً - حلةً من هوانا

واسقٍ من حنٍّ، من سقانا

يا زمانَ المطرِ...

بغته، صار بيني وبين الطبيعة

لغةً ورسائلُ، صار الهواءُ

درجاً، صرتُ أمشي

بين عيني والفضاء

سائحاً في ثياب الطبيعة:

- إن تكن يا بريدَ المسافة

فارساً، فحنيني

فرساً، إن تكن صحارى

فيداي القوافلُ، إن كنت نارا

فأنا عاشقُ غريبٍ تيممُها، والعرافة

كوكبي، يا بريدَ المسافة...

- ٢ -

رافقتني الرياحُ وأحجارُها النبوية:

حَجَرٌ شَيْدُ الْمَدِينَةِ  
حَجَرٌ خَادِمُ الْمَدِينَةِ  
حَجَرٌ وَاسِعٌ يَتَدَحْرَجُ فِي خَاتَمِ الْخَلِيفَةِ  
حَجَرٌ نَجْمَةٌ خَفِيفَةٌ  
عَلَّقَتْهُ الصَّبَايَا  
بَيْنَ أَحْلَامِهِنَّ الْأَلْفَةِ  
وَعْيُونَ الْمَرَايَا.

- أَسْتَوْدِعُ الْحَجَرَ  
مَا يَتْرُكُ النَّهَارُ مِنْ حُطَامِهِ  
فِي سَفَرِي ، مَا يَتْرُكُ السَّفَرُ  
فَلِلْحَجَرِ  
خَيْطٌ مِنَ الرَّاحَةِ ، فِي نَسِيجِهِ  
عَيْنَايَ وَالْغَابَاتُ ؟ وَالْمَطَرُ  
وَلِلْحَجَرِ  
مَدِينَةٌ تُولَدُ كُلَّ لَيْلَةٍ  
أَبْحَثُ فِي شَقْوَقِهَا ، أَرْكُضُ - كُلَّ سَاحِرٍ  
يَضِيعُ فِي مَدِينَةِ الْحَجَرِ

لَكُنْتُ أَسْتَوْدِعُ الْحَجَرَ  
مَا يَتْرُكُ النَّهَارُ مِنْ حُطَامِهِ

في سفري ، ما يتركُ السَّفَرُ . . .  
رافقتني الرياحُ وأحجارُها النبويةُ  
والذين يسيرون في النارِ ، يستتبُّونُ  
شَجَرِ الحُلْمِ ، يفتحونُ  
في رمادِ العصافيرِ بَوَابَهُ . . .

- . . . وسرنا

خطواتٍ من القمح ، سرنا . . .

يرون الطريق أغاني  
وخطاهم ينابيعُها . . .

- التقينا

بين عُنق الطريق وأردافِها . . .

الطالعونُ

من قِلاعِ الهجومِ

يمدّون سلطانهم في تخوم الغرابية في أوّل النباتِ . . .

- انحنينا . . .

للطريق وأعشاشِها

رأينا

سحرَ أبعادِها

سمعنا

صوتَها . .



العاصفونُ

الذين يجيئون كالوقت . . .

- عينُ الغرابِ

مطرًا أو سحابةً

تحت أهدابنا

عجبنا

كيف لم يفتح الجنونُ

لخطانا شبايبك، عجبنا . . .

والذين يرجون ماءَ العصورِ . . .

- انتشلنا

وطناً عائماً . . .

يسمون ما لا يُسمى

يكسرون الحدودَ وأقفالها، يُنشئونُ

طرقاً في الطريقِ، يسيرون قدامها . . .

. . . . - استمعنا

لصدانا يسافر في العشب،

يقبل من آخر البحر . . .

يهوون في لجة الحلم

. . . - كنا

ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالصُّحَارَى

فوق غرناطة، في بخاري...

والذين يسرون بين التحول والنار

- سرنا،

كلهم رافقوني...

... حيثُ تقصُّ الشمس، بعد النوم

عليَّ كلَّ يومٍ:

... - ونادِرُ الأسود

يقرأ باسم الله والشقاء

أسطورة الخبز وشعر الماء

ونادِرُ الأسود

تحمله الأشجار

وكلَّ غصن قبضةً وسيف

ينضج قبل الصيف

ينضج بعد الصيف

ونادر الأسود

هاجر كي يرجع في تشرين

في أول الأمطار...

... حيث رأى مهباز  
كيف تجيء الشمس كل يوم  
إليّ، بعد النوم  
حيث يصير الماء  
من لهفة، نافورة الحريق  
أجراً من مدينه.

- ٣ -

تفتح الأرض بيتها  
تبدأ الأرض خطاها معي،  
- معي غضب الأرض، هواها، سطوحها الوحشية  
والدم السيد، الدم الأمير، الطالع من بؤرة  
الزمان القصية

تفتح الأرض بيتها،

- سرّة الأرض سرير  
كلّ التواريخ عقد يتدلّى حولي...  
وتاريخنا يتضح:

... فينا الجمر، الضحايا  
وفينا

شهوة الملح ، شهوة الكوكب الجامح فينا ،  
وصحوة الجنس في الليل ، وقربانه  
وتسبيحة المرأة انهارت على صدر فاتح يُغلق التاريخ ،  
فينا الدّم الغيورُ الغرابيُّ الغريب المقدّسُ المسفوكُ  
والرقيقُ : المليكُ والمملوكُ

... - كلّ شيء كما كان والثائرون  
أصدقاء الرياح  
يجرحون النهار يسرون بين الجراح ...

غير أنني أسير ، أسمي ، أردّ إلى كلماتي  
سحرَ تكوينها ، أسمي  
بالجذور وإيقاعها ، أسمي  
شجرَ الخلجة النبية في أولِ الفصول  
حيث لا يعرف الدّخانُ  
أنّ بين الحقول  
وينابيع الخفية  
سقطت جثة المكان .

... وأسمي ، وطفّحت أنهارِي البشريّة  
غضباً ينسجُ الخيوطُ

بين صوتي وأمواجه ، والشطوط  
قوسُ نارٍ - حضنتُ الحريقُ  
وقشرتُ المكانَ ، جعلتُ المكانُ  
زَهراً يقرأُ الطريقُ  
والخطى ترجمان .

ورأيتُ أغانيَّ تمشي وتنسجُ أقدامُها الشباكُ  
لطيور الكآبة  
ورأيتُ أغانيَّ تلهو ، تعدُّ الترابُ  
حبةً حبةً ، والعذابُ  
نائمٌ في السوادِ على ضفّةِ الغرابة .  
كانت الريحُ عينيَّ مسنونتينُ  
تخرقان الظلامَ وعاداته ، تجرحانُ  
جسدَ الليلِ ، تشربانُ  
دمه الأسودَ ، المصفى  
حينما تصعدُ المقابرُ أو يسقطُ الملاكُ  
كانت الريحُ جنّةً والأغاني  
وجهها واليدين . . .

. . . - ونادر الأسود

كان الصّدى ، وكان  
يجلس بين القمر الجائع والبستان  
يكشفُ الظلّ ، يغطّي جوعه وكان  
كالذهر ،  
فلاحاً من الفرات  
يخيطُ جرحَ الماء  
يمشي وتمشي خلفه السّماء .

حيثُ تجيء الشمس بعد النّوم  
إليّ ، كلّ يوم  
حيثُ يصير الماء  
من لهفة نافورة الحريق  
حيثُ يكون الزّهر الضائع في الطّريق  
أجراً من مدینة .

- ٤ -

- من أين أتيت؟  
- من أرض الموتى ، من أجران الدّمع أتيت  
لم أسكن بيت . . .

وحينما نزلتُ في مقبره  
والشمسُ تلتفُّ على كاحلي  
كالعشبة المسكره  
حملتُ للجوعِ قرابينه  
كان دمي أضحيةً هاجرت  
إلى غدٍ آخرٍ  
كانت يدي مجمره . . .  
ولم أجد في أول المقبره  
ولم أجد في آخر المقبره  
غير الأطفال  
كانوا وعد الأرض الحبلى  
كانوا المدّ العالي والأموجَ الحبلى والشَّلَالُ . . .  
- من أين أتيتُ؟  
- كنتُ أغامر في الغاباتُ  
أركض خلف الجنّياتُ  
أحلم أنّ الجنّياتُ  
خبزٌ . . .  
... ومرّ عصفورٌ بلا هويّة  
من فُلوات الطيرِ

والتَّمت الأرضُ كمزهريةٍ  
للَّيلِ ، للبقيةِ  
من زهرِ الصَّبِيرِ .

- من أين أتيت؟  
- كنتُ حطّاباً عَبدتُ الشَّجرةَ  
وغرزتُ الفأسَ في أهدابها . . .  
- كيف أتيت؟  
- جئتُ في قافلةِ الرِّعبِ وراياتِ الجنونِ  
في بقايا فأسي المنكسرةِ  
مُرهباً يحملُ تاريخَ الغصونِ . . .

- ٥ -

مهيأُ  
يهبطُ في محيطِ فاسيون  
في بردى ، في فجوةِ السَّقِيفَةِ  
في الغُوطَةِ المفكوكةِ الأزرارُ  
في اللَّيْلِ - محمولاً على قطيفه :

- شقائق النعمانُ  
والحجر الماسيِّ والقنب والرَّمان



حشدُ من الفرسانِ في إيوانِ قاسيونَ .

حيثُ تصيرُ النَّارُ  
بحيرةً ، ويولّدُ العصفورُ  
في ورقِ اللّوتسِ ، حيثُ الماءُ  
سفينةً تقلُّ للأبناء من مقابرِ الآباءِ  
مجامرَ البُحُورِ :

... - تحتَ وجهِ الفسيفساءِ تربُّعنا . . .

وغلغلتُ في ضبابِ الأريكةِ  
في دُوارٍ ، في حُصنٍ غيبوبةٍ خُضراءِ  
في طعمِ جنّةٍ  
وسمعتُ البحرَ يبكي أمواجهَ المنهوكّةِ . . .

ساطعُ  
لهبَيَّ التَّحوّلِ هذا الزّقاقُ - الحجارُ مرايا :

حجرٌ سيّدُ المدينةِ  
حجرٌ فارسُ المدينةِ

قاطعُ يتقدّمُ يجتاحُ يدخلُ في مقتلِ المدينةِ . . .  
عجلاتُ النهارِ ارتختُ ، والمدينةُ  
أسلمتُ وجهها المدينةُ

حيثُ تقصُّ الشمسُ بعدَ النَّومِ  
عليَّ، كلَّ يومٍ:

... - ونادُرُ الأسودَ  
كالدهرِ، فلاحٌ من الفراتِ  
يخيِّطُ جرحَ الماءِ  
يمشي وتمشي خلقه السماءُ ...

مهبازُ  
جِسْرٌ إلى الهُبوبِ حتَّى السَّحَرِ والشَّقاءِ  
في الجسدِ الأرضيِّ أو في جسدِ السماءِ -  
... - جسدي هنا، جسدي هنالك ساجِرٌ  
صوتٌ يثْنُ بلا صدَى  
يرتادُ يفتَحُ المَدَى  
هو والمَدَى ...

فصلته جارحةُ البروقِ عن اللَّمِّ اللَّزجِ الهزيلِ  
جسدي قِبابُ الأرضِ، والنَّهْرُ المسافرُ، والتَّخيلُ ...

كلُّ شيءٍ كما كان، والثَّائرون  
أصدقاءُ الرِّياحِ  
فقراءُ الزوايا وأطفالُها والنساءُ البقايا

يجرحون النهارَ يسرون بين الجراحِ  
كلّ شيءٍ كما كان : كفاي مثقوبتان  
والصدى يشربُ التّزيفُ  
كلّ شيءٍ كما كان : عيناى معصوبتان  
والطريقُ الرّغيفُ،

... - سقطتُ حربهُ، فلملمتُ أيامي  
وأسلمتها إلى كلماتي  
في جذورِ التّفتحاتِ  
ودفعِ الموتِ، في موتي الصّديقِ المُؤاتي  
في الغدِ النّافرِ المُهاجرِ،  
في البرقِ الصّديقِ، البرقِ البعيدِ الآتي  
لستُ إلّا إيقاعها: لستُ إلّا  
نَسْماً طائفاً  
يفتّت روح الماء بين الأنقاضِ والأشتاتِ ...

مهبازُ  
وجهك برجُ اللّيلِ في سفينةِ البُحورِ  
والحلُم في أجنحةِ اليمامِ واليمامُ في التّورِ  
والكناريُّ الذي غنى وغنى :  
- لم يعد حولي مكانٌ غير ظلي

لم يعد حولي طريقٌ غير ظلي . . .

والذي غنى وغنى :

- كان لي أرضٌ منحتُ الأرضَ ، كانُ  
شجرٌ ماتَ ،

الكناريُّ الذي غنى وغنى :

- أنتَ يا وجهَ المكانِ  
نصفك الأول ماتَ  
نصفك الآخر لم يُولَد . . .

وغنى :

- كان لي ظلٌ منحتُ الظلَّ . كانُ  
شجرٌ ماتَ . . .

الكناريُّ الذي غنى وصلى للحياة  
طار من شوقٍ إلى الموتِ ومات . . .

مهيارُ

وجهك برجُ الضوءِ في سفينةِ الظلامِ  
والحلمُ في أجنحةِ اليمامِ واليمامُ  
جسدٌ هنا جسدٌ هنالك ساجِرُ  
يرتادُ يفتحُ المدى

هو والمدى . . .

حيثُ تقصّر الشمسُ، بعدَ التَّوَمِّ  
عليّ، كلَّ يومٍ:

. . . - وسمعت أساطيرهم، وخبزنا، أكلنا

وقفنا أمامَ المرايا

ورأيتُ الوجوهَ الطَّريضةَ

وتجاعيدها، ورأيتُ الجنونَ

وهو يستنفر العصورَ يسوقُ العصورَ

نحوها. ورأيتُ الرَّماحَ

تنحني فوقنا كالغصون، رأيتُ الغصونَ

في تقاطيعنا . . .

رأيتُ المراكبَ في فجوة الخليجِ

تحملُ النَّارَ والرياحَ

وغسلتُ المرايا وحرَّرتُ إعصارها، مزجتُ المرايا

والطَّريقَ وتاريخها، وجعلتُ المزيجَ

كيمياءَ العصورِ الجديدة . . .

ويجيءُ الصَّبَاحُ

من تخومٍ خفيّةٍ

لابساً حُمْرَةَ القطيفه

لهبياً وديعاً يطهر، يزرع جذر الرياح  
في بلاد الخليفة  
وأقاليمها الورقية . . .

حيث رأى مهيأً  
ونادراً الأسود  
كيف تجيء الشمس بعد النوم  
إلى كل يوم  
حيث يصير الماء  
من لهفة نافورة الحريق  
حيث يكون الورق الضائع في الطريق  
أجراً من مدينه .

- ٦ -

سقطت مناديل الفضاء بشاره تلذ البشارة:  
لم يبق إلا عابر شربت ملامحه الجسور  
هو مرة، نجم يشف، ومرة، نجم يغور -  
لم يبق من تيه الطريق سوى الطريق سوى الشرارة  
والماء نجار يدور  
يُعطي، يُشير، يمدُّ راحته، ويؤذن بالعبور.

## وجه البحر





## ١ . كيميا، النرجس

ألمرايا تُصالح بين الظهيرة والليل ،  
خلفَ المرايا  
جَسَدٌ يفتح الطريقُ  
لأقاليمه الجديدة  
في ركامِ العصورِ  
ماحيًا نجمةَ الطريقِ  
بين إيقاعه والقصيدِ  
عابراً آخرَ الجُصورِ

... وقتلتُ المرايا  
ومزجتُ سراويلها النرجسية  
بالشموسِ ، ابتكرتُ المرايا  
هاجساً يحضنُ الشموسَ وأبعادها الكوكبية .

## ٢ - صين

صين

يقراً في عُرفته العارية  
لليل ، للأشجار ، للساهرين  
أحزانة العاليه .

### ٣ - ياسمينه

مُحمَّدُ سافرَ في رغيهِ  
ولم يَعدْ .  
وسارَةٌ تهبطُ في مغارهِ  
تَسألُ عن صديقها الشَّقوقَ والحجارَهُ  
تذوبُ في مِنديلٍ  
وأحمدُ يغني  
أُغنيَّةَ المهاجرِ، الضَّائعِ في بلادٍ  
تأْكُلُ حتَّى جَنَّةَ القَتيلِ  
وصالحٌ يدورُ في سحابَةٍ  
تُوصِلُهُ رياحُها الأَمينَه  
إلى ذُرَى حديقَةٍ  
لا جَنَّةَ فيها ولا ذبابَه -  
وكنْتُ أَسْتيقِظُ في قَصيدتي  
في شَعبِي الطَّفلِ ،  
كياسمينَه .

## ٤ . القشرة والأيام

قشرة. غابت المدينة، رملٌ حول رأسي. يداي،  
خاصرتي... رمحان، والأرضُ فوهةً.  
- قشركَ الشمسُ، واجتأحَ وجهكَ الأعصارُ  
وخبا البرق: هذه جنَّة العالم، هذا ضريحُها السيَّارُ  
ويدي قبضةٌ من الأرض لا تحمل غير الأكمام والأحلام  
غسلتها عيناى، لا ورقُ التاريخ فيها ولا دروبُ الكلام  
هي بيتي، وجسري الأخضرُ الطالعُ بين الأيام والأيام.

## ٥ . القصيدة

أسمعُ صوتَ الزَّمنِ : القصيدةُ  
يَدُّ هنا هنالك ، القصيدةُ  
عينانِ تسألانِ -  
هل أغلقَ النُّسرَينِ بابَ كوخِهِ  
هل فتحَ الإنسانُ  
بَوَابَهُ جديدهُ؟

يَدُّ هنا هناك ، والمسافةُ  
تَنُوسُ بينَ الطِّفلِ والضَّحِيَّةِ  
لكي تجيء النُّجْمَةُ الخَفِيَّةُ  
وترجعَ الدُّنيا إلى الشَّفَافَةِ .

## ٦ . الأبحار

- ١ -

سقطتُ حجره  
فتفتّح شيءٌ في الجدرانِ  
صار البُعدُ أحنَّ وأشهى ...  
سقطتُ حجره  
فتغيّر شيءٌ في الإنسانِ .

- ٢ -

من زمانٍ عشقتُ الحجرَ  
وانجبلنا معاً وافترقنا ،  
من زمانٍ رأيتُ الحجرَ  
سرّةً ، والمرايا  
موعداً ، والتقينا  
وانجرّحنا ، ونمنا وقمنا

وافترقنا، وعدنا  
وأنا اليوم أنأى وأنفذ ممّا تقول المرأيا  
فأنا أوّل الشّطّايا، أنا آخر الشّطّايا . . .

- ٣ -

حَجَرٌ يحمي نهد الجبلى  
حَجَرٌ يَسْكُرُ  
يترنّح في أهداب الشّاعر  
ويصير يمامة  
ترقد في أهداب الشّاعر  
حَجَرٌ يَسْهَرُ  
ويصير ستائر  
تتدلّى حول جبين الشّاعر  
ويصير غمامه . . .

- ٤ -

دُلّيه يا غمامه  
يجهل أن يسير يا غمامه  
في لَوْبِ الظّلام

وحيثما يخرجُ صوب النورِ  
والجهة الخفيّة  
في وطن الكلامِ  
أبرأ من براءة العصفورِ  
ترميهِ بندقيّة .

دَلِّيهِ يا غمامه  
خُذِيهِ واغسليهِ  
من ليل قاتليهِ  
بِالله يا غمامه .



## ٧ . الرغيف

عاد الرغيفُ إلى خميرته

يُهاجرُ في قصيده

مثلي ،

سرّينا حافّين ،

- أكلتْ ؟

- لا .

- ودّعتْ ؟

- لا .

- عاندتْ صوتك ، وهو يفتح جرحه الملكي ، يصرخُ ؟

- لا .

سرّينا

في قاع أغنية ، رأينا

سُفنَ الحروفِ الجارياتِ - نقلتُ عن وجهي حُرُوفي

ولبستُ قُبَّةَ الخريفِ

كي أفهمَ القبرَ المسافرَ . . .

وانحنينا

وتنهَّدَ الحَوْرُ الحزينُ يقولُ، أسمعُه يقولُ

أنا والرَّغيفُ علامتانِ وكلَّ أغنيةٍ رسولُ

والماءُ جَمجمةٌ بعيدةٌ .

أنا والرَّغيفُ دَمٌ - سَرِينَا

بكتِ الشوارعُ وانحنَتْ

رُكْبُ المآذِنِ،

وانحنينا . . .

## ٨ . الشهيد

حين رأيتُ اللَّيْلَ في جفونه الملتهبه  
ولم أجد في وجهه نخيلاً  
ولم أجد نجوماً،  
عَصَفْتُ حَوْلَ رَأْسِهِ  
كالرَّيحِ - وانكسرتُ مثلَ قَصَبَةٍ.

## ٩ - وجه البحر

أسمعُ في مهيأ

قصيدة

تَعْرِفُ أَنْ تَجْرَحَ لَيْلَ الْقَبْرِ

بِالشَّمْسِ أَنْ تَجِيءَ

فِي قَدَمِ الشَّمْسِ وَوَجْهَ الْبَحْرِ... .

## ١٠ - الموت

حين رأيتُ الموتَ في طريقي  
رأيتُ أفكاري  
رأيتُ وجهي  
قاهرةً تمتدُّ كالضبابِ  
وكنتُ مستجيراً  
بالبرقِ ، مرسوماً على الترابِ .

## ١١ - حوار

- لا تَقْلُ كان حَبِّي  
خاتماً أو سيوار  
إنَّ حَبِّي حصارُ  
إنَّه الجامحونُ  
يُحرون إلى موتهم ، يَحْثونُ .  
لا تَقْلُ كان حَبِّي  
قمرًا ،  
إنَّه شرارُ .

## ١٢ . الدم النافر

أحلمُ -  
لَنْ يَكُونَ هَذَا الصَّوْتُ  
صَوْتِي،  
أَنْتَ الْجَنَّةُ الطَّرِيحَةُ  
أَنَا الدَّمُ النَّافِرُ مِنْ حَضَارَةِ ذَبِيحَةٍ  
يُشْعِلُ نَارَ الْمَوْتِ  
يُطْفِئُ نَارَ الْمَوْتِ .

## ١٣ . الوردة

خُذْ وردةً مُدَّها وسادةً .

بعدَ حينٍ

تَصْهَرُكَ المَهْزَلَةُ

فِي حَمَأٍ ، فِي طِينٍ

تَضْمَكُ القَنْبِلَةُ

لِمَلِكِهَا ،

بعدَ حينٍ

خُذْ وردةً سَمَّها

أُغْنِيَّةً ،

وَعَنٍّ لِلْعَالَمِينَ .



## ١٤ . العصفور

أصغيتُ :  
عصفورُ على صَنِينُ  
يَضجُ كي تسيطرَ السَّكِينَةُ  
كي يُصبحَ الغناءُ  
كشفرةَ السَّكِينِ  
يجرحُ بالبحّة والبُكاءُ  
برودةَ المدينة .

## ١٥ . المئذنة

بكتِ المئذنةُ  
حين جاء الغريبُ - اشتراها  
وبنى فوقها مدخله .

## ١٦ . الحلم

غبتَ ، اختفيتَ ؟ عرفتُ أنك سائحُ  
شرراً ولؤلؤةٌ وموجٌ غوايةِ  
تمضي تَعُودُ مع الفصولِ  
ورأيتُ نارك في الحقولِ  
عيناك أجنحةٌ ووجهك طالعُ  
كالأفقِ ، يكتنزُ الشمسُ ، ويغسلُ الأرضَ الكثيبه  
غبتَ ، اختفيتَ ؟ رأيتُ وجهك في الحقولِ  
ماءٌ يسافر في الجذور إلى مدائنه الغريبةِ  
في العشبِ ، في نَهْرِ الفصولِ .

## ١٧ - الموج

مَوْجُ رَفَعْتُ عَلَى أَذْرَاجِهِ جُزُرِي  
وَرَحْتُ أَبْدَأُ تَارِيخِي -  
أَفْتَهُ  
أَلَمَهُ  
وَأَنْقِيَهُ، وَفِي لَغْتِي  
مَسَافَةُ الْمَوْتِ تُحْيِينِي، وَفِي وَرَقِي  
مَسَافَةُ الْجَرْحِ ،  
مَوْجُ أَمِيرِ الصُّوَرِ  
مَوْجُ يُؤَاخِي طَرِيقَ الشَّمْسِ، يَفْتَحُ فِي  
صَدْرِي مَحْطَاتِهِ،  
مَوْجُ يَعْلَمُنِي  
أَنَّ الْأَقَاصِي مَدَارُ الْحَلَمِ وَالسَّقَرِ.

## ١٨ . المدينة

نمتُ مع المدينة  
في أول الغصونِ في بداية الجراحِ  
كانت على سريري  
أقلقَ من سفينةٍ  
في اللجِّ . واللقاحِ  
يخضُّها، يفتحُ كلَّ عِرْقٍ . . .  
واستيقظتُ، كانَ السَّريُّ نَهراً  
للحبِّ،  
واللقاحِ  
تاريخِ عاشقينِ  
وكان نهداها مدينتينِ .

## ١٩ - نبوة

للوطن المحفور في حياتنا كالقبر  
للوطن المخدّر المقتول  
تجيء من سباتنا الألفي، من تاريخنا المشلول  
شمسٌ بلا عبادة  
تقتلُ شيخَ الرملِ والجرادة  
والزمنَ النابتَ في سهويه  
اليابس في سهويه  
كالفطر  
شمسٌ تُحبُّ الفتكَ والإبادة  
تطلعُ من وراء هذا الجسر... .

## ٢٠ . الغرب والشرق

كان شيءٌ يمتدُّ في نَفَقِ التاريخ  
شيءٌ مزِينٌ ملغومٌ  
حاملاً طفله من النَفْطِ مسموماً  
يغْثِيهِ تاجرٌ مسمومٌ  
كانَ شَرْقٌ كالطُّفْلِ يسألُ ،  
يستصرخُ  
والغربُ شيخه المعصومُ

بُدِّلَتْ هذه الخريطةُ  
فالكونُ حريقُ  
والشَّرْقُ والغربُ قبرُ  
واحدُ  
من رماده ملمومٌ . . .

## ٢١. سنبله

وقفت سنبله  
بين وجه الشريد وأيامه، وقفت سنبله  
وأشارت -  
رأيتُ النهارَ  
جرساً يفتح الشبايكَ والمدنَ المقفلة.

وقفت سنبله  
في مدار الينابيع في شهوة الغبارِ  
ورأيتُ العصافير تبني، وكان المطرُ  
سُفناً تجرف الجليدُ  
في طريق البراعم والعشب، كان الشجر  
سُفناً تحمل المبدائن أو تأخذ القمرَ  
في مهبّ الفضاء الجديد.



## ٢٢ . سام

قبلُ أو بعدُ ،  
يُولد الكونُ مربوطاً بقرني غزالٍ مسحورٍ  
راسماً ظله على الأشجارِ :  
عُصْنُ صورةٍ لَهُ  
عُصْنُ يزهر بين المسمارِ والمسمارِ  
عُصْنُ عاشقٍ حنانَ النَّارِ -  
أنا تاريخ ذلك العُصْن السائح  
في غابة الرؤى والمجاعة  
سار وجهي في قبة الموت  
واسترجع سحراً يُضيئه ، وأضاعه  
فدعوتُ الجَمْرَ الصديق وبخّرنا  
مداه ، وموجه ، وشراعه  
وحملتُ العشب الرّضيع كأهدائي  
وسافرتُ في حنين الرّضاعة

في رياح غربية منذوره  
لدمي جارحاً،  
لِحَبِّيَ مربوطاً بقرنيْ غزالَةٍ مسحوره .

## ٢٣ - دمشق

أومات -

جئتُ إليك حنجرَةً يتيمة  
أقتاتُ، أنسجُ صوتها الشَّفَقِيَّ من لُغَةٍ رجيمة  
تتبطَّنُ الدنيا وتخلعُ بابَ حكمتها القديمة .  
وأُتيتُ، لي نجمٌ ولي نارٌ كليمة :

يا نجمُ، رُدَّ لي المجوسُ  
وأنتِ يا نارُ استبيحي  
فالكونُ من ورقٍ وريحٍ  
ودمشقُ سرَّةِ ياسمينٍ  
حُبلى ،  
تمدَّ أريجها  
سقفاً  
وتتطرُّ الجنينُ .

## ٢٤ - الأسماء

سأسمي التحول ربَّانَ أيامكِ الجديدة  
يا بلادَ الخليفةِ والتَّابعينَ  
وأسمي  
وجهكِ المغلقَ التَّفينَ  
كوكباً، والقَصيدةَ  
هالةَ الفارسِ الغريبِ  
حولَ أيامكِ الجديدة.

## ٢٥ اللؤلؤة

كيف أمشي نحو شعبي ، نحو نفسي  
كيف أمضي نحو تهيامي وصوتي ، كيف أصدع؟  
لستُ إلا نَهراً  
حاضناً لؤلؤة الشعر  
والأ  
حُلماً -  
أني ضوء  
سائح في جسد الليل ،  
وأني  
جامحٌ احتضنُ الأرضَ كأنثى  
وأنا  
موقظاً حبي فيها  
لها يفتح ،  
يستنزلُ فيها

آية ،  
أتي كتاب  
ودمي جبر  
وأعضائي كلام.

كيف أمشي نحو نفسي ، نحو شعبي  
ودمي نار وتاريخي ركام؟  
أسندوا صدري -  
في صدري حريق  
ومسافات  
وأجساد عصور تتجرجر  
والثوار يخ مرايا  
والحضرارات مرايا  
تتكسر.

لا ، دُعوني :  
إنني أسمع أصواتاً تغني في رمادي  
إنني ألمحها تمشي كأطفال بلادي .

## فهرست القصائد

جنازة امرأة .....	٥
كلمات .....	١٦
لون الماء .....	٢٠
الزمان المكسور .....	٢٣
امرأة ورجل .....	٢٥
أغنية للرجل .....	٢٧
أغنية للمرأة .....	٢٨
المجوس .....	٢٩
وجه امرأة .....	٣٠
الطريق .....	٣١
مرأة لحظة ما .....	٣٢
مرأة للكرسي .....	٣٣
مرأة للوقت .....	٣٤
حزمة القصب .....	٣٦

٤١	أربع أغنيات لحزمة القصب
٤٣	١ - الجائع
٤٤	٢ - النوم والنهوض من النوم
٤٥	٣ - الشعب
٤٦	٤ - الغضب
٤٧	تيمور ومهيار
٥٣	أربع أغنيات لتيمور
٥٥	١ - مرآة للشرع
٥٦	٢ - الغزو
٥٧	٣ - هم
٥٨	٤ - السيل
٥٩	مرايا وأحلام حول الزمان المكسور
٦١	١ - الماضي
٦٢	٢ - الحاضر
٦٣	٣ - مرآة طاغية
٦٤	٤ - الرصاصة
٦٥	٥ - مرآة السيف
٦٦	٦ - الشاعران
٦٧	٧ - دمشق



- ٨ - مرآة لملك الحريم ..... ٦٩
- ٩ - بيروت ..... ٧٠
- ١٠ - مرآة لزيد بن علي ..... ٧٢
- ١١ - مرآة رجل يروي ..... ٧٥
- ١٢ - مرآة لزياب ..... ٧٦
- ١٣ - مرآة الفقير والسلطان ..... ٧٧
- ١٤ - امرأة ورجل ..... ٧٩
- ١٥ - مرآة الحجاج ..... ٨١
- ١٦ - مرآة الرأس ..... ٨٣
- ١٧ - مرآة الشاهد ..... ٨٤
- ١٨ - مرآة لمسجد الحسين ..... ٨٥
- ١٩ - مرآة الحلم ..... ٨٦
- ٢٠ - مرآة التاريخ ..... ٨٧
- ٢١ - مرآة للأرض ..... ٩٢
- الرأس والنهر ..... ٩٣
- السماء الثامنة ..... ١١٩
- تعويزات لمدائن الغزالي ..... ١٤٩
- ١ - جسد الحصاة ..... ١٥١
- ٢ - لو سكنت ..... ١٥٣

١٥٤ .....	٣ - القاعدة
١٥٥ .....	الممثل المستور
١٥٧ .....	١ - قمر الغوطة
١٦١ .....	٢ - الغائب قبل الوقت
١٦٧ .....	مرايا للممثل المستور
١٦٩ .....	١ - مرآة للنوم
١٧٠ .....	٢ - مرآة للسؤال
١٧١ .....	٣ - مرآة لفارس الرفض
١٧٣ .....	٤ - مرآة للقرن العشرين
١٧٤ .....	٥ - مرآة للغيوم
١٧٥ .....	٦ - مرآة لمعاوية
١٧٦ .....	٧ - مرآة لخالدة
١٧٩ .....	٨ - مرآة لوضاح اليمن
١٨١ .....	٩ - مرآة لبيروت
١٨٤ .....	١٠ - مرآة الزلاجة السوداء
١٨٦ .....	١١ - مرآة لجسد عاشق
١٨٧ .....	١٢ - مرآة لجثة الخريف
١٨٨ .....	١٣ - مرآة لأبي العلاء
١٨٩ .....	١٤ - مرآة للعين والزمن

١٥ -	مرآة لاورفيوس .....	١٩٠
١٦ -	مرآة الطواف .....	١٩١
١٧ -	مرآة الطريق وتاريخ الغصون .....	١٩٢
	وجه البحر .....	٢١١
١ -	كيمياء النرجس .....	٢١٣
٢ -	صنين .....	٢١٤
٣ -	ياسمينه .....	٢١٥
٤ -	القشرة والأيام .....	٢١٦
٥ -	القصيدة .....	٢١٧
٦ -	الأحجار .....	٢١٨
٧ -	الرغيف .....	٢٢١
٨ -	الشهيد .....	٢٢٣
٩ -	وجه البحر .....	٢٢٤
١٠ -	الموت .....	٢٢٥
١١ -	حوار .....	٢٢٦
١٢ -	الدم النافر .....	٢٢٧
١٣ -	الوردة .....	٢٢٨
١٤ -	العصفور .....	٢٢٩
١٥ -	المثلثة .....	٢٣٠

٢٣١	١٦ - الحلم
٢٣٢	١٧ - الموج
٢٣٣	١٨ - المدينة
٢٣٤	١٩ - نبوءة
٢٣٥	٢٠ - الغرب والشرق
٢٣٦	٢١ - سنبلة
٢٣٧	٢٢ - ساحر
٢٣٩	٢٣ - دمشق
٢٤٠	٢٤ - الأسماء
٢٤١	٢٥ - اللؤلؤة



## من منشورات دار الآداب

### مجموعات الشاعر

- فصائد أولى. الطبعة الأولى ١٩٥٧.
- أوراق في الريح. الطبعة الأولى ١٩٥٨.
- أغاني مهيار الدمشقي. الطبعة الأولى ١٩٦١.
- كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل. الطبعة الأولى. ١٩٦٥.
- المسرح والمرايا. الطبعة الأولى. ١٩٦٨.
- هذا هو اسمي (وقت بين الرماد والورد). الطبعة الأولى ١٩٧١.
- مفرد بصيغة الجمع. الطبعة الأولى ١٩٧٥.
- المطابقات والأوائل. الطبعة الأولى ١٩٨٠.
- كتاب الحصار. الطبعة الأولى ١٩٨٥.
- احتفاء بالأشياء الغامضة الواضحة. الطبعة الأولى ١٩٨٨.